عمر لطفي النجار

# القرآن في الفكر الصوفي

.

بسم الله الرحمن الرحيم

**ـ مقدمة:**

القرآن كتاب المسلمين المقدس الذي لا يدانيه ولا يعلو عليه كتاب وهو القيم على كتب السماء، أنزله الله على محمد صلى الله عليه وسلم لهداية البشر "للتي هي أقوم" بما فيه من عقائد بما فيه من تشريع، ببرهان ما فيه من الإعجاز اللغوي والعلمي أو العقلي والتشريعي، هذا ما يعتقده المسلمون في كتابهم، ومن أنكر عليه شيئاً من ذلك فما هو من رعاياه ولا هو من أهل الكتاب إن لم يكن يهودياً أو مسيحياً.

ما من كتاب أو اعتقاد على وجه الأرض إلا وله الأعداء الكثر، تلك سنة الله التي زود الإنسان بالعقل المشروط بالأنا وما بين الشد والجذب بين العقائد والأديان ترعرعت كل العقائد وحافظت على بقائها، رغم أنه لا موضوع مُدرك له الفصل في هذا النزاع.

لقد تنوعت أساليب العداء بين العقائد والأديان، ابتداء من استخدام السيف انتهاء بالحجج العقلية مروراً باللعن والشتم وتبادل الإهانات، وأصحاب هذا الأسلوب صريحون في عدائهم واضحون في انتصارهم لعقائدهم أو لإنكارهم كل العقائد، أما الصوفي فشأنه مختلف فإن أراد التعبير عن إنكاره لإعجاز القرآن فلا قول له مباشر، بل يقارن ما فيه بالشعر ليقول: إن الشعر هو الأفضل من القرآن لذكر الله في مجالس السماع، أو يقارن اللغة العربية باللغة السريانية ليقول أن السريانية هي

الأفضل للفتح والكشف ومعرفة الله من لغة القرآن العربية، وإن أراد إنكار نسبة المدوَّن فيه إلى كلام الله أو إلى الله، زعم بأن القرآن نزل على المعنى أو الفهم وأن محمداً صلى الله عليه وسلم ترجمه بلغته إلى الكلام، والكلام بالتالي من محمد لا من الله. ومن أجل الطعن بمحمد ومن ثم بالقرآن، اتهمه بعدم الأمانة أو الخطأ في الترجمة، حيث ترجمه ليلائم مستمعيه وأتباعه مما أدى به إلى إخفاء مراد الله عن العلن. وإن أراد إنكار قيمة التشريع الموجود في القرآن فلن يصرح بعدم إعجابه به ولا يطرح البديل الأفضل، بل يقول: إن هذا الجانب كله مما يجب الزهد فيه وإهماله لأنه مشغلة بغير الله وحجاب يمنع الوصول إليه سبحانه. وإن أراد اتهام القرآن بالتناقض أو إن طلب تحريفه بهواه، زعم عدم التطابق ما بين القرآن الأم أو قرآن اللوح المحفوظ الذي قرأه هناك مع قرآن الدفتين الذي بين أيدينا، وبالبدائل عن القرآن زعم استمرار نزوله على الأولياء، كما زعم استمرار نبوة العقائد أو نبوة الولاية، وبإشارته إلى التناقض بين آياته جزم بأنه لا رفع له إلا بتوحيد لا فاعل ولا موجود إلا الله كبديل عن توحيد لا إله إلا الله. ومن أجل بدائلهم عن القرآن زعموا لدنية كتبهم، ومن أجل تفريغ القرآن عما يعنيه زعموا لدنية التفسير من الله أو من تفسيره المدون في اللوح المحفوظ، وبالتأويل لكل الآيات دونما تمييز بين محكم ومتشابه، كان لهم بظنهم اجتياف القرآن والهيمنة عليه، وبالخوارق صدَّق السذج بأن أولياء التصوف هم حقاً أولياء الله ولا

اعتراض عليهم، ولو كان لهم التمييز بين أولياء الشيطان وأولياء الرحمن ومعرفة أن الخوارق لا دين لها ولا هي دليل استقامة من جرت بين يديه مع الله، لبارت بضاعته وما انخدع به أحد، ولو طلبوا إخضاع مزاعمه لمقولتي الصدق والكذب الموضوعي لرُدَّت إليه مزاعمه دون أن ينبس ببنت شفه.

أما من أراد الفصل بين رجال التصوف لتبرئة هذا الجانب أو هذا الصوفي أو ذاك فهو الجاهل بكلية الغنوص وبما يعنيه اختلاف المقامات عند القوم، فكلهم مرشحون للوصول إلى القمة المتمثلة بتوحيد الوجود وما كلهم يصلون إليه، وكثر هم الذين ماتوا دون الوصول لهذا السر، أو ماتوا وهم دون الجرأة على البوح بأسرارهم، ومن دقق في البحث أكثر فسوف لن ير فرقاً بين أوائلهم وأواخرهم، أو بين أبو يزيد مثلاً وكلهم أبو يزيد، وبين كبيرهم ابن عربي الذي اجتمع بين جنبيه كل أوائلهم.

## ـ القرآن والرياضات الصوفية:

الرياضات الصوفية ومهما اختلفت دروبها ما بين خلوتية وتأملية وغير ذلك ذات هدف واحد، وهو الوصول إلى الوجد المشروط بالفناء الممثل لعتبة التماس ما بين الصوفي والكائنات الأخرى، ومن أجل الوصول إلى الفناء لا بد من الفصل ما بين الحواس والمحسوس بما يسمى الزهد في كل ما سوى الله من جهة، والفصل ما بين البواعث الداخلية والتفكير بما يسمى التركيز على الفكرة موضوع الفناء من جهة أخرى، فالتركيز إذن والزهد في كل ما سوى الله هما السبيل للوصول إلى الوجد أو إلى الله، وبهذين الأصلين الغنوصيين نظر الصوفي إلى القرآن.

القرآن والكتب وهو من جملتها، الذهب والغلمان الحسان، ليلى ولبنى ومحمد صلى الله عليه وسلم كل ذلك من الأغيار غير الله، المشمول بالزهد في كل لا سواه، فالقرآن بما فيه من أوامر ونواهي بما فيه من حث على التفكير في آلاء الله، بما فيه من حث على استخدام العقل، بما فيه من انشغال بغير الله كإقامة الحدود وتنظيم المجتمع وتوزيع الإرث وإلى ما هنالك، هذا كله من أكبر العوائق أمام الزهد والتركيز المؤديان إلى الوجد. والغزالي يقول صراحة أنه "في الوقت الذي صدقت فيه رغبتي لسلوك هذا الطريق "طريق التصوف" شاورت متبوعاً "أو شيخاً" من الصوفية في المواظبة على تلاوة القرآن فمنعني! وقال: السبيل "إلى الله" أن تقطع

علائقك من الدنيا بالكلية-. ثم تخلو بنفسك في زاوية "أو خلوة"-. مقبلاً بذكرك على الله تعالى"[1].

أي: القرآن لا يؤدي إلى معرفة الله أو الوصول إليه، ومن أجل هذا الوصول نصحه الصوفي بالزهد فيه وبما فيه واستخدام الذكر مع العتمة والجوع كوسيلة لإيجاد التركيز على الفكرة موضوع الذكر، علماً أن موضوع الذكر لا علاقة له بهذه اللفظة أو بهذا الدين أو ذاك، وقد يكون الذكر بترداد لفظة الله أو "هو" أو "أوم" إله الهندوس بأذرعه الستة، أو "عشتار" إلهة الحب بجسدها العاري، والمهم هو تكرار الاسم وعدم مبارحته حتى الفناء عن الوعي أو الفناء فيه، وقد يكون موضوع التركيز بأي شيء آخر كرأس الدبوس أو بقعة سوداء في لوح أبيض وإلى ما هنالك مما هو معروف ومتداول عند أهل الغنوص على اختلاف أجناسهم وأديانهم.

ومن أجل الحصول على الفكرة موضوع التركيز استعان الغنوصيون منذ القدم ومذ وجد الشامان والكاهن والساحر بالموسيقى والغناء والرقص للوصول إلى الفناء المؤدي للوجد، أما أهل التصوف فقد نعتوا هذه المجالس بمجالس السماع أو مجالس الذكر، ذكر الله، ولما احتج الفقهاء على الأولياء بأن تلاوة القرآن للذكر هي الأولى والأجدى من

---

[1] - ص٢٦ – ٢٧ ميزان العمل

الغناء والرقص على أنغام الموسيقا وتلاوة الأشعار، كانت الحجج الغزيرة من أهل التصوف للبرهنة على أفضلية الشعر والغناء على تلاوة القرآن لذكر الله، والجنيد شيخ الطائفة "قيل له: فما بالهم "أي الصوفية" إذا سمعوا القرآن لا يطربون؟ قال: وأي شيء في القرآن يطرب؟! في **الدنيا القرآن حق نزل من عند حق لا يليق بصفات الخلق،** عند كل حرف منه على الخلق واجب لا يخرجهم منه إلا الوفاء لله عز وجل به، فإذا سمعوه في الآخرة من قائله أطربهم. قيل له: فما بالهم يسمعون القصائد والأشعار فيطربون؟ فقال: لأنها مما عملت أيديهم"[٢].

فالطرب الذي معناه اقتناص الفكرة موضوع التركيز أو الانسجام مع اللهو للترويح عن النفس، غير موجود في تلاوة القرآن الذي يدعو سامعه إلى العمل بما سوى الله، وإلى التفكير بآلائه أو بما سواه، هذا كله حسب رأيه يحجب الصوفي عن التركيز المؤدي للوجد، أما إن انعزل القرآن عن العمل وإعمال العقل أو التفكير، فهو عندها الصالح للذكر أو الطرب، وبانقطاع العمل في الآخرة سيكون لسامعه الطرب هناك، أما في الدنيا فهو غير مناسب لطرب البشر والترويح عن نفوسهم، لأنهم لا يطربون إلا بما كان عنهم كالشعر والقصائد وإلى ما هنالك. وبناءً عليه فالشعر هو الأفضل للذكر من القرآن، وحسنٌ استبدال الجنيد للذكر

---

٢ - ص٨٦ ج١ الطبقات الكبرى

بالطرب، لأنه الأولى بهم وبمجالسهم، والشيخ ابراهيم الخواص "قيل له: ما بال الإنسان "الصوفي" يتواجد عند سماع الأشعار ولا يتواجد عند سماع القرآن؟ فقال: لأن سماع القرآن صدعة لا يمكن أحداً أن يتحرك فيها لشدة غلبتها وشدة الأشعار ترويح للنفس فتتحرك فيه"[٣].

فالقرآن بالفعل يدعو الإنسان للقلق على مصيره فإن تأمل بالصور التي رسمها الله للجحيم انتابه الرعب ومن حيث لا جمع بين القلق والرعب مع الطرب الناتج عن الرقص والغناء والموسيقى كان اختيار أهل التصوف للطرب على تلاوة القرآن.

والشيخ أبو يعقوب الرازي حسب القشيري أتاه أحدهم وأنشده هذا البيت من الشعر:

*"رأيتك تبني دائما في قطيعتي فلو كنت ذا حزم لهدمت ما تبني"*

فإذا به قد تصايح وبكى ثم قال: يا بني لا تلم أهل الري على قولهم أن الحسين بن يوسف زنديق! فها أنا وقت الصلاة وأنا أقرأ القرآن فلم تقطر من عيني قطرة، وقد قامت علي القيامة بهذا البيت الذي أنشدت"[٤].

---

٣ - ص٩٨ نفسه

٤ - ص٣٥٦ الصوفية في نظر الإسلام، ص٩١ ح١ الطبقات الكبرى

فهو إذن ممن لا تقشعر جلودهم بسماعهم القرآن ولا ممن تفيض أعينهم من الدمع وليس له هذا إلا مع الشعر الذي أنتجه البشر لا الله! لكن الله يقول: "والشعراء يتبعهم الغاوون" صدق الله العظيم.

وأخيرا جاء الغزالي حجة الإسلام، ليضع حججه السبعة في كفة الذين فضلوا الشعر على القرآن ليقول:

*"**فاعلم أن الغناء أشد تهييجاً للوجد من القرآن** من سبعة أوجه:*

*الوجه الأول: أن جميع آيات القرآن لا تناسب حال المستمع ولا تصلح لفهمه وتنزيله على ما هو ملابس له، فمن استولى عليه حزن أو شوق أو ندم فمن أين يناسب حاله-. الآيات التي فيها بيان أحكام الميراث والطلاق والحدود وغيرها؟ وإنما المحرك لما في القلب ما يناسبه-. والأبيات إنما يصنعها الشعراء إعراباً بها عن أحوال القلب، فلا يحتاج في فهم الحال منها إلى تكلف"*[٥].

وإذا ما أراد الغزالي الرضى عن القرآن ملاءمة لطبيعة الصوفي وأحواله، لا بد برأيه من انتزاع كل الآيات التي تحدثت عن تنظيم الحياة الاجتماعية! كما أن القرآن غير ملائم للتعبير عن الأحوال المختلفة للإنسان، فالصوفي الذي حاله الحزن والشوق مثلاً، لن يجد في تلاوة القرآن ما يلائمه، حيث لا فصل فيه بين البسط والقبض، أما الشعر

---

[٥] - ص٢٩٨ ج٢ إحياء علوم الدين

الخاضع للانتقاء حسب الأحوال فهو الأجدى والأنسب من القرآن. والشعر من جهة أخرى هو الأنسب للفهم البشري لأنه من صنع أيديهم، من القرآن ذو المصدر الإلهي المحتاج لفهمه إلى التكلف والمشقة!

*"الوجه الثاني: يقول الغزالي: إن القرآن محفوظ للأكثرين ومتكرر على الأسماع والقلوب، وكلما سمع أولاً عظم أثره في القلوب، وفي الكرة الثانية يضعف أثره، وفي الثالثة يكاد يسقط أثره. أما "المغني أو القوال" يقدر على الأبيات الغريبة في كل وقت ولا يقدر في كل وقت على آية غريبة"* [٦].

فالقرآن برأيه ممِّل وما أثره إلا في المرة الأولى وإذا ما تكرر سماعه فلا تأثير له على القلوب، والمغني أو القوال من جهة أخرى لن يوفَّق في كل الأحيان على الغناء بآية ذات أثر على الجميع، خاصة على الحافظين له أما إن استخدم الشعر في غنائه فله في كل وقت القدرة على الإتيان بالجديد الذي له أعظم الأثر على كل الحاضرين.

*"الوجه الثالث، يقول الغزالي: إن لوزن الكلام بذوق الشعر تأثيراً فليس الصوت الموزون الطيب كالصوت الطيب الذي ليس بموزون، وإنما يوجد الوزن في الشعر دون الآيات، ولو زحَّف المغني الذي ينشده أو لحن فيه أو مال عن حد تلك الطريقة في اللحن، لاضطرب قلب*

---

٦ - ص١٩٩ نفسه

*المستمع وبطل وجده وسماعه ونفر طبعه لعدم المناسبة. فالوزن إذن يؤثر فلذلك طاب الشعر"*[7] *دون القرآن.* الذي يمثل برأيه الشعر الزاحف الذي يضطرب له قلب الصوفي، فالقرآن طيب ولكن الشعر طيب موزون، فهو أفضل وأنسب لذكر الله!

*"الوجه الرابع، يقول الغزالي: إن الشعر الموزون يختلف تأثيره في النفس بالألحان التي تسمى الطرق والإستانات. وإذا رتل القرآن كما أنزل سقط عنه الأثر الذي سببه وزن الألحان وهو سبب مستقل بالتأثير وإن لم يكن مفهوماً، كما في الأوتار والمزمار والشاهين وسائر الأصوات التي لا تفهم"*[8].

فالموسيقا والترتيل كلاهما لجعل الشعر أو الآيات على أثر بالنفوس، إلا أن التنوع متوفر في الآلات الموسيقية المتعددة دون الترتيل المعتمد على الصوت الحسن الذي لا وجود لشيء سواه في قراءة القرآن.

*"الوجه الخامس، يقول الغزالي: إن الألحان الموزونة تعضد وتؤكد بإيقاعات وأصوات أخر موزونة خارج الحلق كالضرب بالقضيب والدف وغيره. وواجب أن يصان القرآن عن مثل هذه القرائن بل ينبغي أن يوقَّر القرآن فلا يُقرأ على شوارع الطرق. ولا في الجنابة. فيعدل إلى الغناء*

---

[7] - ص٢٩٩ ــ ٣٠٠ نفسه
[8] - ص٣٠٠ نفسه

*الذي لا يستحق هذه المراقبة والمراعاة. **فواجب في الاحترام العدول إلى الغناء عن القرآن"*** [9].

فالرجل كما نراه هنا يتباكى على احترام القرآن، ولهذا جعل تفضيل الغناء عليه من الواجبات المقدسة على الصوفي، ولكن إن كان السماع لدى القوم لذكر الله كما يقولون أليس من المكروه أن يكون الذكر في الطرقات والساحات، وأي ذاكر لله هذا الذي لم يسارع إلى الغسل من الجنابة وليس له الجلوس الطويل دون هذا الواجب الشرعي، وهل ستكون الواردات التي ستأتيه إلهية المصدر إن زعمها أو زعمها الوجد وهو غير الطاهر؟!

*"الوجه السادس، يقول الغزالي: إن المغني قد يغني ببيت لا يوافق حال السامع فيكرهه وينهاه عنه. وكذلك في القرآن. لا يُؤْمَنْ أن لا يوافق المقروء الحال وتكرهه النفس، فيتعرض به لخطر كراهة كلام الله تعالى من حيث لا يجد سبيلاً إلى دفعه. وهذا ما ينقدح في علل انصراف الشيوخ إلى سماع الغناء عن سماع القرآن"* [10].

الصوفي كما يقول شيخ الإسلام قد يكره سماع بعض الآيات انسجاماً مع أحواله، وعندها سيكون في حرج إن نهى القارئ عن التلاوة

---

[9] - ص٣٠٠ نفسه
[10] - ص٣٠٠ نفسه

أو شتمه، أما مع الغناء فلا حرج! ولذلك انصرف المتصوفة إليه أو إلى حريتهم وفضلوه على القرآن!

*"الوجه السابع، يقول الغزالي: "القرآن كما يقول السراج" كلام الله وصفة من صفاته وهو حق لا تطيقه البشرية لأنه غير مخلوق فلا تطيقه الصفات المخلوقة. "أما الألحان الطيبة فهي مناسبة للطباع. لمشاكلة المخلوق المخلوق، فانبساطنا "بالغناء" أولى من انبساطنا إلى كلام الله تعالى الذي هو صفته وكلامه الذي منه بدأ وإليه يعود. انتهى"*[١١].

فكلام الخالق لا يناسب المخلوق، فكلامه تعالى منه وإليه يعود، والقرآن من صفاته ولا كذلك صفات الإنسان، فلا استئناس وانبساط للمخلوق إلا بكلام من مخلوق مثله، ولذلك كان انبساط الصوفية بالغناء دون انبساطهم بكلام الله. وعلى كل حال فقد أحسن الغزالي صنعاً وهو المشكور بعدم برهنته على بشرية القرآن ليلائم الخلق!

فالقرآن برأي الغزالي يشوش الصفاء لما فيه من حدود وأحكام وانشغال بما سوى الله، إنه ممل وأثره معدوم على النفس، ولا يناسب إلا الطبيعة الإلهية التي ليست للإنسان، وقراءته تحتاج إلى نوع ما من المراقبة وبذلك يكون قصوره عن شمول كل الأحوال الصوفية. ولكن إن كان وضع القرآن والغناء في كفتي المقارنة يعد بذاته نقصاً وسوء أدب

---

[١١] - ص٣٠٠ – ٣٠١ نفسه

لمن فعله وجرأة على الله، فما بالك إن انتصر حجة الإسلام للغناء على القرآن في حلقات أذكارهم تحصيلاً للوجد؟! ورحم الله ابن القيم الجوزية حيث قال عن أهل التصوف:

*"تُلي الكتاب فأطرقوا لا خيفة — لكنه إطراق ساه لاهي*
*ثَقُل الكتاب عليهم لما رأوا — تقييده بأوامر ونواهي*
*ورأوه أعظم قاطع للنفس عن — شهواتها. يا ويحها المتناهي"*[12]

وأخيراً نقول: أن الغزالي رحمه الله لم يقصد في الحقيقة الإساءة للقرآن، فللقرآن طبيعة تخصه، وللغنوص طبيعة تخصه وهذا هو كل ما أحب أن يقوله وهو الصادق في قوله. وتحصيل الوجد عن طريق السماع كما هو معلوم لا علاقة له بهذا الدين أو ذاك ولا بالقرآن وهذا أيضاً صحيح، وقد قلنا من قبل أن السماع قديم قدم التاريخ قدم الشامان والساحر والكاهن وكل ما في الأمر أن تلاوة القرآن على ما يبدو قد تعيق حدوث الفناء أو فقد الوعي، أو قد تمنع الوجد أو حضور الأرواح الشريرة على حد تعبير الوسطاء الروحيين، ولو كان لها الحضور بواسطة القرآن لما فضل الصوفي الغناء عليه وهو الذي لا يخشى في سبيل أحواله لومة لائم!!

[12] - ص٤٨٧ ج١ مدراج السالكين

**ـ قيمة القرآن عند الصوفي:**

الصوفي من جهة أخرى لم يقف عند تفضيل الشعر على القرآن فحسب، بل راح يقارن القرآن بما لديه من كتب لدنية، والشيخ عبد القادر الجيلاني يصرخ كعادته في وجوه الذين أنكروا عليه مخالفته للقرآن من الفقهاء والعلماء والمفسرين، ليقول: أنتم "ما عندكم من خير، ادخلوا كتابي حتى أعلمكم شيئاً لا تجدونه عندكم، للقلوب كتاب، وللأسرار كتاب، وللنفوس كتاب، وللجوارح كتاب هي درجات ومقامات وأقدام معدودة. كن عاقلاً، ما أنت على شيء"[١٣].

أي: إن كتبه هذه التي ذكرها لا وجود لها أو لموضوعاتها بالقرآن أو الخبر النبوي، وقد سماها كتباً وهي بالطبع على خلاف الموجود بالقرآن الممثل للحكمة العملية، ومن أجل البرهان على المصدر الإلهي لكتبه قال: "اسألوه تعالى من حيث القدرة لا من حيث الحكمة"[١٤]، فسبحانه وتعالى قادر وما هو بعاجز عن إرسال الكتب لأوليائه كما أرسلها لأنبيائه ولا تقف – كما يقول – "مع ذلك المكتوب، فإن الذي كتبه هو القادر على محوه، الذي بناه هو القادر على نقضه"[١٥]، وبما له من لدنيات الكتب والعقائد الحديثة هو الأحق حسب زعمه بالإتباع من القرآن،

---

[١٣] ـ ص٢٣٤ الفتح الرباني
[١٤] ـ ص٢١٤ نفسه
[١٥] ـ ص٢٢٤ نفسه

وبالصراخ يقول: "يا جاهل اترك الدفتر من يدك وتعال اقعد ها هنا بين يدي على رأسك، **العلم يؤخذ من أفواه الرجال لا من الدفاتر**، يؤخذ من الحال لا من المقال، يؤخذ عن الفانين عنهم وعن الخلق الباقين بالحق عز وجل"[١٦].

أي: دع المكتوب أو الدفتر وما فيه، ولا علم بالله أو من الله إلا من أفواه أولياء التصوف الباقون بالله، لا مما قال الله في القرآن ولا مما يقوله الرسول فيما صح عنه.

والوصول إلى الله والأخذ عنه متاح لكل من كان زاهداً بكنز غيره، فلا تحلي قبل التخلي، وابن عجيبة يقول: "إن أردت أن يتسع عليك علم الأذواق فاقطع عنك مادة الأوراق، فما دمت متكلاً على كنز غيرك لا تحفر على كنزك أبداً"[١٧]. وما كان لمحمد من كنز قد يكون لك إن تركت كنز محمد أو قرآنه له، والشيخ أبو السعود بن أبي العشائر يقول: "ينبغي للسالك الصادق في سلوكه أن يجعل كتابه قلبه"[١٨] ليقول: "حدثني قلبي عن ربي كذا وكذا"، أما المحجوب فهو القائل: "قال ربي في قرآنه كذا وكذا، وقال النبي كذا وكذا"، وما الفرق عندها بين الصادق صاحب الكشف، إلا كالفرق بين الآخذ ميتاً عن ميتاً، وبين الآخذ عن الحي الذي لا

---

[١٦] - ص٢١٥ نفسه
[١٧] - ص٦٢ ج١ إيقاظ الهمم
[١٨] - ص١٦٢ ج١ الطبقات الكبرى

يموت، أو كالفرق بين القديد واللحم الطري. ومن كان قلبه كتابه حق له القول مع ابن الفارض:

*"أنـــــا النـــــور المبـــــين أنـــــا الحـــــق اليقـــــين*
*أنـــــا القـــــرآن أتلـــــى أنـــــا الحبـــــل المتـــــين"*[١٩]

بل إن الشيخ شعبان "الذي كان من أهل التصريف "أو الكرامات"-. كان يقرأ سوراً غير السور التي في القرآن على كراسي المساجد يوم الجمعة وغيرها فلا ينكر عليه، وكان العامي يظن أنها من القرآن لشبهها بالآيات من الفواصل"[٢٠].

أي: بكراماته خدع العوام بقرآنه!

مشايخ التصوف يكرهون الكتب، ويمنعون مريديهم عنها والاطلاع عليها، ومن أجل إبعادهم عنها شغلوهم بالأوراد والأذكار والأحزاب والصلوات الخاصة بمنافع لا تحصى للمثابرين عليها"[٢١] حتى كان حفظها بالفعل الشغل الشاغل لهم عن قراءة "القرآن"[٢٢]، وإن طلب الأولياء قراءته ليكونوا نموذجاً للمريدين "اتخذوا من سوره وآياته عزائم وتحوطات وخصوا سوره وآياته بخصائص، وقالوا بأن لكل سورة

---

[١٩] - ص٣٧٥ الصوفية في نظر الإسلام
[٢٠] - ص١٨٥ ج٢ الطبقات الكبرى
[٢١] - ص٢٤١ قلادة الجواهر. وما بعدها
[٢٢] - ص٦١ الصوفية في نظر الإسلام

خادماً- فسورة لقضاء الحوائج وسورة لرفع المكروه، وسورة للأمان من الفقر- أما أن يكون القرآن للعمل بأوامره، والاهتداء بهديه، فليس ذلك عند الصوفية من مقاصد القرآن"[٢٣]!

[٢٣] - ص٦٧ نفسه

**ـ القرآن والسريانية عند الدباغ الرفاعي الطريقة:**

الصوفي تشبثاً بأصول الغنوص لا يعطي لغة القرآن وزناً يذكر، فالعربية ليست بذات بال، وبغيرها تكون القربى واستجابة الدعاء، فالشيخ محمود الكهيان مثلاً كان مع الفرس ذات مرة "فقالوا له: ادع الله تعالى ليسقينا، فقال: كيف أقول؟ قيل له: قل بالفارسية: وارن مان كو وهذا لسانهم. فذكر ما قالوا فمطروا في الوقت والحين"[٢٤]. وقصد الراوي على ما يبدو هو إظهار كرامة اللغة الفارسية عند الله!

أما الحديث القائل: أحب العربية لثلاث، فهو مرفوض عند الدباغ البربري الأصل، فقد رأى بكشفه أن هذا ليس بحديث، ولم يقله النبي صلى الله عليه وسلم"[٢٥]. حتى انتصر للسريانية على العربية. فالسريانية حسب رأيه هي لغة أهل الجنة، "وأن سيدنا آدم – كما يقول – لما نزل إلى الأرض كان يتكلم بالسريانية مع زوجته وأولاده لقربهم بالعهد"[٢٦]. أي لقرب عهدهم بالجنة التي كانوا فيها قبل أن هبطوا إلى الأرض "لأنها – أي السريانية – كلام أهل الجنة"[٢٧].

---

[٢٤] ـ ص٧٨ النور من كلمات أبي طيفور
[٢٥] ـ ص٣٤٥ ج١ الإبريز
[٢٦] ـ ص٣٤٤ نفسه
[٢٧] ـ ص٣٤٥ نفسه

ولغة الملائكة والأرواح أيضاً سريانية، والدباغ يقول: "نعم، سؤال القبر بالسريانية، لأنها لغة الملائكة والأرواح"[٢٨]، وسؤال القبر يكون بلفظة "مراز هو"[٢٩]، وجواب المؤمن بلفظة "مراد أزيره"[٣٠] وفاطمة بنت محمد صلى الله عليه وسلم طالما هي روح تتكلم السريانية، ويقسم الدباغ أنها لما حضرت إلى ديوان الأولياء المسؤولون عن إدارة شؤون الكون، يقول: "سمعتها تصلي على أبيها صلى الله عليه وسلم- بالسريانية"[٣١]، حتى أن اسم محمد نفسه بالسريانية هو "مشفح- المنحمنا"[٣٢].

السريانية أعظم قيمة ومكانة من لغة القرآن العربية "فاللغة السريانية هي لغة الأرواح وبها يتخاطب الأولياء من أهل الديوان فيما بينهم، لاختصارها وحملها المعاني الكثيرة التي لا يمكن أداؤها بمثل ألفاظها في لغة أخرى"[٣٣] عربية كانت أو غير عربية "لأن الكلام في كل لغة غير السريانية – كما يقول – يتركب من الكلمات لا من الحروف الهجائية، أما في السريانية فيتركب من الحروف الهجائية- "ومن تعلمها" ارتقى بذلك إلى معرفة أسرار الحروف. فليس للعربية برأيه من أبجدية!! وربما أن الرجل معذوراً بجهله للكتابة التي لا يعرفها.

---

[٢٨] - ص٣٤٧ نفسه
[٢٩] - ص٣٤٨ نفسه
[٣٠] - ص٣٤٩ نفسه
[٣١] - ص٣٠ ج٢ نفسه
[٣٢] - ص٣٤١ ج١ نفسه
[٣٣] - ص٣٤٢ – ٢٤٣ ج١ نفسه

السريانية كما يقول لغة الفطرة حتى أن الطفل بفطرته ينطق بها "**فمن أسمائه تعالى لفظة "أغ"**. التي ينطق بها الصبي الرضيع"[٣٤]، ولذلك أصبح إتقانها من تمام شروط الولاية "والولي المفتوح عليه فتحاً كبيراً يتكلم بها، من غير تعلم أصلاً، لأن الحكم لروحه فما ظنك بالميت، فلا صعوبة عليه في التكلم بها"[٣٥] وعندما تعلمها الدباغ مثلاً "تقَّطب بعد ذلك بقليل"[٣٦] حتى كان له إدراك كل باطن القرآن، لأن الباطن كما يقول: "لا يدرك إلا بالكشف، لكن من عرف السريانية وأسرار الحروف – كما يقول – أعانه ذلك على فهم باطن القرآن عوناً كثيراً، وعلم ما في عالم الأرواح وما في هذه الدار، وما في الدار الآخرة، وما في السموات وما في الأرضين وما في العرش"[٣٧].

السريانية لغة الله، ولغة الملائكة ولغة الأرواح والموتى، وبها يكون التعامل في الآخرة. إنها اللغة التي تؤدي إلى معرفة الأسرار، وبها يكون الوصول إلى الباطن القرآني، إنها لغة الأولياء، لغة أهل الديوان الأعظم، فأين العربية من هذا كله؟! فكيف إذن أؤتمنت العربية على نقل المعنى الإلهي وهي التي لا دقة في ألفاظها ومعانيها، وكيف لمحمد صلى الله عليه وسلم القول: أحب العربية لثلاث: لأني عربي، ولأن القرآن عربي،

---

[٣٤] - ص٣٤٦ نفسه
[٣٥] - ص٣٤٧ نفسه
[٣٦] - ص٣٥٣ نفسه
[٣٧] - ص٣٥٤ نفسه

ولأن لسان أهل الجنة عربي. ولا بد لهذا الحديث المرفوع إلى ابن عباس أن يكون موضوعاً برأي الدباغ وأترابه من أولياء الطريقة الرفاعية، لأنه لم يصح عندهم عن طريق الكشف. ولذلك كما يقول ابن القيم الجوزية: "قال أصحاب الذوق والكشف والوجد: إذا تعارض الذوق والوجد والكشف مع ظاهر الشرع: قدَّمنا الذوق والوجد والكشف"[٣٨] عليه. فمن أنواع الاعتراض على الشرع كما يقول: "الاعتراض على حقائق الإيمان والشرع بالأذواق والمواجيد والخيالات والكشوفات الباطلة الشيطانية المتضمنة شرع دين لم يأذن به الله"[٣٩].

وما الذي يعنيه الوحي النبوي عند الدباغ حتى كان عنه هذا القرآن الذي بين أيدينا؟ يقول: "نزول الوحي يتبع خواطر الأنبياء، فإذا خطر ببال النبي شيء، أو تحدث به في نفسه نزل الوحي به- تبعاً للخاطر"[٤٠]. فالوحي برأيه كائن عن الخواطر الموافقة لما في النفس، أو موافقة لأحواله صلى الله عليه وسلم، وبهذا يقول الدباغ: "فإذا نصحت الكتب فهم "أي الأنبياء" تحدثوا بالنصيحة- وإذا بشرت الكتب "السماوية" فهم قد انبسطوا- وإذا أنذرت وأغلظت في الوعيد فهم قد أنقبضوا"[٤١]. وتلك هي أسباب النزول برأيه، أو بتعبير أدق أسباب نزول الوحي، فالوعد عن

[٣٨] - ص٧٠ ج٢ مدارج السالكين
[٣٩] - ص٦٩ ج٢ نفسه
[٤٠] - ص٤١٨ ج١ الإبريز
[٤١] - ص٤١٩ نفسه

انشراح وانبساط نفس النبي، والوعيد عن انقباضها ولا شيء موضوعي إذن كوجود الجنة والنار أو ما يريده الله من الأوامر والنواهي طالما أن الوحي يعود بمصدره إلى الانعكاس النفسي لشخص النبي!

أما عن تفسير القرآن فالدباغ لا يفسر القرآن حسبما يزعم إلا بإعلام نبوي، وفي ذلك يقول: "لا أفسر لكم الآية إلا بما سمعت من النبي صلى الله عليه وسلم"[٤٢] عن طريق الكشف!

قرآن الظاهر أو القرآن الذي بين الدفتين برأيه ليس معصوماً عن التحريف، وقرآن اللوح المحفوظ بزعمه مكتوب بالسريانية أو بعضه على الأقل "نعم، وبعضه بالسريانية- كفواتح السور"[٤٣]، والشروح هناك بالسريانية أيضاً، فقد "كُتب مع كل حرف منها شرحه بالسريانية، فإذا رأيت ما كتب في شرح كل فاتحة علمت تبيانها"[٤٤]، "ويعلم هذا الذي قلناه من عاينه في اللوح المحفوظ"[٤٥]، ومن عاين القرآن هناك سيراه مختلفاً عن هذا القرآن الذي بين أيدينا "ومن فتح الله عليه – كما يقول – ونظر في أشكال الرسم التي في ألواح القرآن "الذي في الدنيا أو الذي بين أيدينا" ثم نظر في أشكال الكتابة التي في اللوح المحفوظ وجد بينهما تشابها كثيراً، وعاين مثلاً زيادة الألف في اللوح المحفوظ في "كفروا" و "آمنوا"

[٤٢] - ص٣٩٦ ج١ نفسه
[٤٣] - ص٣٥٥ ج١ نفسه
[٤٤] - ص٣٦٧ نفسه
[٤٥] - ص٣٦٧ نفسه

وغير ذلك"[٤٦] كثير. فهذه الألف الزائدة في قرآن اللوح المحفوظ أو قرآن الحقيقة غير موجودة في قرآن الظاهر، وارجع إن شئت إلى اللوح المحفوظ لترى أن لفظة "سعو" الواردة في سورة سبأ: ٥ موجودة هناك بلفظة "سعوا" وكذلك "عتو" في سورة الفرقان: ٢١، وكذلك "يعفو" في سورة النساء: ٩٩، وما ذلك على ما يبدو إلا البداية لهز المؤمنين بيقين قرآنهم، وما علم المسكين أن كتابة القرآن قد اعتمدت على رسم النطق لا على القواعد التي صاغها أهل اللغة فيما بعد لما سعوا نحو التعميم والتبسيط على حساب الرسم.

وأخيراً لا نرى في الدباغ ذلك الملحد الذي أراد تفضيل السريانية على لغة القرآن، ولا ذلك الذي أراد نفي الخبر الإلهي عن طريق الوحي، ولا ذلك الذي قصد اتهام القرآن بالتحريف، ولا ذلك الذي هتف إلى تكذيب الصحاح من أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم، وإنما هو مريض أو وسيط روحي حسب تفسير الوسطاء الروحيون، حتى أصبح ضحية لهيمنة روح حسب الوسطاء أو شيطان حسب المصطلح الديني عليه، يتكلم السريانية حتى قال بواسطته ما قال.

---

٤٦ - ص١٨٨ ــ ١٨٩ نفسه

## - الصوفي وتفسير القرآن:

الكشف عند أهل التصوف هو الأصل وبه يكون تحديدهم للصحيح أو المحرف من القرآن وبه يكون تفسيرهم له ولا صحة لتفاسير المفسرين والفقهاء من أهل الظاهر أهل الضلال، وعلى سبيل المثال نرى أن الشيخ "أبو العباس المرسي رضي الله عنه يقول: قرأت مرة والتين والزيتون إلى أن انتهيت إلى قوله تعالى: "ولقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم ثم رددناه أسفل سافلين" ففكرت في معنى هذه الآية فُكشف لي عن اللوح المحفوظ فإذا مكتوب فيه: لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم روحاً وعقلاً ثم رددناه أسفل سافلين نفساً وهوى"[٤٧].

ولكنه مع الأسف لم يذكر إن كانت هذه الزيادات من أصل القرآن أم أنها من التفسيرات، ولكنها على كل حال من اللوح المحفوظ.

أما الشيخ أبو الحسن الشاذلي فإنه يزعم بعلمه الكشفي نسخ ما لم يقل أحد من العلماء بنسخه فقد "سئل عن قوله تعالى: يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون- فقال الشيخ رضي الله عنه، أقول: إن هذه الآية منسوخة"[٤٨]. فهكذا كشف للرجل ولا معارضة للكشف حيث لا حجة بعده بزعمهم، والحقيقة أنه من أجل الحفاظ على ارتباط الفناء بالموت حسب المعنى الصوفي كان انتزاعه لاشتراط الموت

---

[٤٧] - ص٢١٨ ج٢ الفتح الإلهي، ص١٦٢ لطائف المنن

[٤٨] - ص١٦١ لطائف المنن

بالإسلام الذي به حسن المآل، من أجل استبدال حسن المآل بالوجد، ولهذا كان نسخه للآية.

الصوفي يقرأ القرآن الذي بين أيدينا على الله نفسه ليتأكد من عدم تحريفه أو لإبعاد المحرَّف عنه فمثلاً "كان حمزة الزيات – حسب رواية الشعراني – يقول: قرأت سورة "يس" على الحق تعالى حين رأيته فلما قرأت "تنزيل العزيز الرحيم" بضم اللام فردَّ عليَّ الحق تعالى "تنزيل" بفتح اللام، وقال: إني نزلته تنزيلاً، وقال: وقرأت عليه جل وعلا سورة "طه" فلما بلغت إلى قوله "وأنا اخترتك". فقال تعالى: وأنا اخترناك"[٤٩]. ولكن لست أدري إن كان الله قال له: "وإنا اخترناك" يا محمد أو أنه حدث تحريف عند جمع القرآن حتى استبدلت "وأنا اخترتك" بـ"وإنا اخترناك" وفي كلا الحالين فإما أن يكون الشيخ زاعماً ما ليس له أو طاعناً في عصمة القرآن الذي تكفل الله بحفظه، علماً أن كل طعن كشفي في القرآن يعد بحق تكذيباً لقوله تعالى: "إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون". ولكن هل لأحد الجزم بصدق مزاعم الصوفي أو تصديقه، طالما الصدق على الأُقل مشروط بشاهدين؟!

القرآن الحق الذي لا تحريف فيه كما يقول الصوفي لا يؤخذ إلا من الله نفسه، فعلى قارئ القرآن كما يقول الغزالي "أن يترقى إلى أن يسمع

---

[٤٩] - ص١١٩ ج١ م٢٢ اليواقيت والجواهر

الكلام من الله عز وجل لا من نفسه"[٥٠]. ومن أجل تضليل الغزالي للقارئ عن معنى إصلاح النص بالقراءة على الله، روى عن جعفر الصادق قوله: "ما زلت أردد الآية على قلبي حتى سمعتها من المتكلم بها"[٥١]. وبالنتيجة ورغم الشأن المختلف هنا، فإن كان التطابق ما بين النص وتلاوة الله، فالنص صحيح وإلا فهو محرف أو مكذوب، وهذا هو المقصود من زعمهم القراءة على الله.

الولي الصوفي ومهما تكن درجة علمه له الوصول إلى العلم بالقرآن الأم ولو كان غير حافظ لقرآن الدفتين، والجنيد يقول: "كان عندنا ببغداد عبد أسود أعجمي اللسان نسأله عن القرآن آية آية فيجيبنا عن ذلك بأحسن جواب، وهو لا يحفظ القرآن، وذلك دلالة ولايته"[٥٢]، والشيخ سهل التستري يقول: "إن الله تعالى ما استولى ولياً من أمة محمد صلى الله عليه وسلم إلا علَّمه القرآن إما ظاهراً وإما باطناً. ولما سئل عن كيفية تعلمه في الباطن إذ تعلمه في الظاهر أمر مفهوم قال: إن المقصود بتعلمه فهمه وهو المراد"[٥٣]. وحتى تكون لهم الاستقامة مع رأيهم هذا قالوا أن محمداً صلى الله عليه وسلم كان يعرف القرآن أو قرآن الفهم قبل نزوله عليه، وقد "سئل – الرفاعي – رضي الله عنه، وقيل له: أي سيدي! سمعنا أن رسول

---

[٥٠] - ص٢٨٧ ج١ إحياء علوم الدين
[٥١] - ص٢٨٧ – ٢٨٨ نفسه
[٥٢] - ص١٨٦ التصوف بين الحق والخلق
[٥٣] - ص٢٩٩ – ٣٠٠ من التراث الصوفي

الله صلى الله عليه وسلم كان يسبق جبرائيل عليه السلام وقت نزوله بالوحي. فهل كان يعرف القرآن قبل ذلك أم لا؟ فقال رضي الله تعالى عنه: **تكلم الحق سبحانه وتعالى بالقرآن قبل خلق السموات والأرض، وكتبه في اللوح المحفوظ فلما خلق الله تعالى روح محمد صلى الله عليه وسلم عرض القرآن المجيد على روحه فتمثل على قلبه، فلما ظهر إلى الدنيا وبُعث بالرسالة** ونزل عليه الوحي على لسان جبرائيل عليه السلام، **وتذكرت روحه الكريمة صلى الله عليه وسلم ذلك العرض السابق فجرى القرآن على لسانه فنطق به** فأنزل عليه "ألم ذلك الكتاب لا ريب فيه" أي ذلك الكتاب الذي عرضناه على روحك الشريفة وعلمناه "سابقاً أنك ستذكره ولا تنساه". ثم أدبه جل وعلا بقوله تعالى: **"ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضي إليك وحيه وقل رب زدني علماً""**[٥٤].

فللقرآن إذن وجود آخر غير الذي بين أيدي الناس، والنسخة الأم أو الأصلية مخطوطة باللوح المحفوظ، وهناك يكون القرآن المحفوظ، وبذلك حسب رأي المتصوفة يكون معنى قوله تعالى: "إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون" ومن قرأ تلك النسخة هناك فقد قرأ القرآن دون زيادة أو نقصان أو تحريف وهذا ليس ببعيد عن الإدراك الصوفي، ولو كان الصوفي جاهلاً لا يجيد القراءة والكتابة!

---

[٥٤] - ص١٩٦ قلادة الجواهر

ومن أجل تفسيرهم لمعرفة أو حفظ الرسول صلى الله عليه وسلم للقرآن قبل نزوله عليه، ومن حيث هم على سنن الغنوص أو وهم غنوصيون كان إحياؤهم للاعتقاد الغنوصي بالإنسان الكامل أو "الإنسان الكوني" وسموه محمد الباطن أو "الحقيقة المحمدية" فأصبح محمد ذا وجودين: محمد الزمني أو المولود في مكة، ومحمد الروحي المخلوق قبل الوجود أو قبل أبيه آدم، ومحمد الروحي هذا كان حافظاً للقرآن قبل أن نزل عليه في مكة، ولهذا كان يزاحم جبريل في تلاوته قبل أن ينهي جبريل تلاوته عليه، وهو تفسيرهم لقوله تعالى: "ولا تعجل بالقرآن"!!

ولكن هل قوله تعالى "ولا تعجل بالقرآن" من القرآن الذي كان يعلمه محمد الروحي أم لا؟ فإن قالوا: لا. فقد نفوا قوله هذا عنه سبحانه وعن القرآن، ومن ثم ناقضوا أنفسهم بنسبته إلى قول الله تعالى. وإن قالوا: نعم. فهم عندها على إقرار الفرق بين القرآن الروحي والقرآن الزمني ولا نتيجة بعدها إلا تكذيب اعتقادهم بالحقيقة المحمدية التي جعلوها الحمالة لكل خرافاتهم حتى جعلوا من أنفسهم بالنيابة عنها أو بوراثتهم لمحمد الروحي المسؤولون عن إدارة شؤون الكون بما فيه من سموات وأرضين كشركاء لا غنى لله عنهم!!

وإذا ما كان كلام الله على التعميم قرآن، فإن القرآن بزعم أهل التصوف مستمر النزول إلى يوم القيامة على أوليائه، بل إن النابلسي

جعل من اعتقادهم باستمرار نزول القرآن علامة من علامات الورثة الصادقين من أهل التصوف، قائلاً: "**وهذه هي آيات القرآن العظيم الذي نزل به جبريل الأمين على قلب نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، ولم يزل ينزل إلى يوم القيامة بملك الإلهام الذي هو من أعوان جبريل عليه السلام على قلوب العلماء الذين هم ورثة محمد صلى الله عليه وسلم، وإذا نزل عليهم لم يكن غيرهم**"[٥٥] الورثة. فليس من فرق إذن في نزول القرآن على أولياء التصوف ونزوله على محمد صلى الله عليه وسلم إلا كالفرق بين جبريل وأحد أعوانه، وإلى يوم الدين سيستمر نزول قرآن المتصوفة، وهو برأيهم معنى قوله تعالى: "وقل رب زدني علماً"، أي زدني قرآناً!!

وللصوفي بالمقابل مقامات يزعم أنها رحمانية لا يستطيع النطق فيها بالقرآن وأحدهم يخبرنا عما حصل له في مقامه هذا، قائلاً: "ولما ذقت "هذا المقام" كنت لا أقدر على النطق بالقرآن لا في الصلاة ولا في غيرها لأمور يعذرنا فيها من ذاق هذا الأمر"[٥٦]. ولكن حسب الذي ذاقوا هذا الأمر من الوسطاء، عللوه بكره الروح الذي هيمن عليه للقرآن، أو لأنه تأول صلاة الجوارح بصلاة القلب التي تخلو من القراءة واستخدام اللسان.

---

٥٥ - ص١٢١ شروح رسالة الشيخ أرسلان
٥٦ - ص٩٩ الأنوار القدسية

أما الحلاج واعتماداً على علمه اللدني فقد هبَّ معارضاً القرآن بكل قوته، ويحكى عن عمرو بن عثمان المكي صاحب قوت القلوب "أنه قال: كنت أماشي الحسين بن منصور في بعض أزقة مكة، وكنت أُقرأ القرآن فسمع قراءتي فقال: يمكنني أن أقول مثل هذا"[٥٧]، وعمرو هذا حسب الشعراني قد "رأى الحسين بن منصور الحلاج يوماً، وهو يكتب شيئاً فقال: ما هذا؟ فقال: هو ذا أعارض القرآن"[٥٨].

أما أبو يزيد البسطامي فقد عارض القرآن هو الآخر ولكن بطريقة مختلفة، بأحواله! فقد "قرئ بين يدي أبي يزيد قول الله تعالى "يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفدا" فتواجد أبو يزيد وهام وجعل يقول: من كان عنده لا يحتاج أن يُحشر لأنه جليسه أبداً"[٥٩]. أي: فكيف لهذه الآية برأيه أن تصدق في تعميم الحشر حيث لا حشر أبداً على المتصوفة الفانين في الله أو المتحدين به، أي لا حشر لمن كان على الجمع مع الله! وابن عربي يقول عن الشيخ "**المهذب** ثابت بن عنز الحلوى: لقيته بالموصل سنة إحدى وستمائة، عارض القرآن وسمعته يتلو منه سوراً، وكان في مزاجه اختلال، إلا أنه كان من أزهد الناس وأشرفهم نفساً"[٦٠]. فاختلال مزاجه وفق المصطلح الصوفي دلالة على أنه من المرادين أو "المجذوبين" إلى

---

[٥٧] - ص١٧١ تلبيس إبليس
[٥٨] - ص٨٩ ج١ الطبقات الكبرى
[٥٩] - ص١٥٣ النور من كلمات أبي طيفور
[٦٠] - ص١٢ ج٣ بـ٣٠٣ الفتوحات المكية

الله الذين اصطفاهم سبحانه، وزهده وشرفه دلالة على صدق وصوله إلى تحصيل قرآنه الذي قرأ بعضه على ابن عربي. وعن المجذوبين على سبيل الذكر يقول ابن عجيبة: هم "قوم نفذوا إلى شهود الحقيقة وأنكروا الحكمة، هم أهل الجذب"[٦١].

أي: إن أهل الجذب الذين اصطفاهم الله للقرب منه لهم إنكار الحكمة أو القرآن، لوصولهم إلى الحقيقة، وبالحقيقة هذه عارض الشيخ "ثابت" القرآن بقرآنه، ولهذا حق نعته بالمهذب المختل حسب ابن عربي، أو المجذوب المقرب حسب ابن عجيبة!

---

[٦١] - ص٢٣٧ ج٢ الفتح الإلهي

**- ابن عربي والقرآن:**

الصوفي الذي آثر العزلة والبعد عن المجتمع بخلواته غير قادر على التوفيق بينه وبين طبيعة القرآن ومقاصده الاجتماعية، وحيث أفرد القصد إلى الله للزهد في كل ما سواه، لم يكن للقرآن عنده من قيمة وحظوة طالما اعتبره من الأغيار، مما سوى الله! ومقارنة برياضاته رآه غير جدير للذكر والقرب والوصول إلى الله، وبأحواله زعم أنه هو القرآن أو كل ما يقوله قرآن، كما زعم بأن الكتب الإلهية لا تؤخذ إلا من القلوب دونما أي مصدر بشري آخر، ومن يقينه بما يدرك ومن زعمه لقراءة اللوح المحفوظ الذي فيه النسخة الأم عارض قرآن الدفتين ونسخ ما لا يروق له من الآيات وأتى بالتفسير الذي لا حقيقة برأيه لسواه، ومن زعمه لمعرفة القرآن ولو كان جاهلاً به قال بالحقيقة المحمدية التي لها معرفة القرآن قبل نزوله على محمد البشري الذي عاش في مكة. وبهذا كله كان لهم في نهاية الأمر أن أهملوا القرآن وعزلوه عن العمل وحدُّوه بالعزائم والتمائم والتسخير، كما نهوا الناس عن قراءته وكل الكتب بإطلاق، حتى اعتبروا المحبرة والقلم من العورات التي يجب سترها.

أما ابن عربي العارف بهذا كله، والذي أصبح ممثلاً لمجموع التراث الصوفي بحق، فإنه يُعتبر بالفعل وكأنه الحروف الكبيرة التي تتيح لقارئها كل الوضوح للفكر الصوفي وأسراره. ومن هنا كانت أهمية

الرجل الموسوعة الذي لا يجوز فصله عن أسلافه على الإطلاق، خاصة لمن له العلم بسمات الغنوص ومبادئه الثابتة.

**ـ القرآن عند ابن عربي محيِّر:**

التناقض في القرآن كما يقول ابن عربي كبير جداً، وبما فيه من اضطراب فهو المحيِّر لمن قرأه، وفي ذلك يقول: فقد "تقابلت فيه الأقوال وتضادت الصور والأحوال، فآية تشبيه تقابلها آية تنزيه، وقد يجمع الحكم بهما آية واحدة لمن أراد الفائدة مثل قوله: ليس كمثله شيء وهو السميع البصير"[٦٢].

أي: كيف يكون تنزيهه عن كل شيء كما تقول الآية والمخلوقات ذات سمع وبصر، وهو السميع البصير، إنها مثله! وأي تناقض هذا في الآية الواحدة؟ وقوله أيضاً "لنبلونكم حتى نعلم. وهو العالم بما يكون منهم، فافهم من يعلم، وإذا فهمت فاكتم، فإذا علمت فافهم، وإذا فهمت فاكتم، وإذا كتمت فالزم، وتأخر ولا تتقدم، فإذا قدمت فاحذر..."[٦٣]. أي: كيف يستفيد الله العلم من المخلوق وهو العليم بكل شيء؟ وأي تنزيه لهذا الإله الموصوف في القرآن! فكيف يكون الله جامعاً للتنزيه والتشبيه في آن واحد، ولكن إياك أن تبوح بهذا لغير أهله واثبت على هذه الحيرة فإنها الصواب وفيها كل الحقيقة:

*"ليس منا من لم يكن بالقرآن يتغنى     من حيَّره تحييرا لقد حاز مقاماً كبيرا"*[٦٤]

---

[٦٢] ـ ص٣٥٣ ج٤ بـ٥٥٩ الفتوحات المكية

[٦٣] ـ ص٣٥٣ ج٤ نفسه

[٦٤] ـ ص٣٦٤ ج٤ نفسه

فالصوفي الذي لا يعتقد باضطراب القرآن إذن لا يعد من أهل التصوف ذوي المقامات الكبيرة!! وإن أردت قراءة القرآن أيها الصوفي كما يقول فلا تأخذه على محمل الجد، والأفضل ألا تفكر بما فيه، لما فيه من اختلاط السم بالشهد أو العسل بالسم:

*"فمن قرأ القرآن فلا يفكر ولا ينظر فإن السم شهد"* [٦٥]

ومن أجل رفع التناقض من القرآن عند قارئه اشترط ابن عربي عليه الاعتقاد بوحدة الوجود، وبها وحدها يكون استقامة القرآن مع الله، ومن أجل اعتقاده هذا كان زعمه لوجود المحيرات والتناقض في القرآن.

---

٦٥ - ص٥٠ ج٤ بـ٤٣٨ نفسه

## ـ القرآن كلام الله وكل موجود كلامه:

قيمة القرآن عند المسلمين أنه كلام الله، ولكن القرآن عند ابن عربي أوسع من ذلك، أوسع مما هو حبيس بين الدفتين فقط، فكل الوجود طالما هو كلمات إلهية متجسدة قرآن ومصحف، وهل من وجود إلا لكلماته تعالى التي لا تنفذ؟ وهل كلماته إلا ذاته "فالقرآن كلام الله وكلامه علمه وعلمه ذاته"[٦٦]، "وليس غير كلام الله هو المسموع والمبصر"[٦٧] من الأشياء ابتداء من "الخراز" نهاية "بالخنزير" أما من حيث الكلام المنطوق على الإطلاق من جهة أخرى "فكل كلام في العالم كلامه"[٦٨] لأنه لا فاعل سواه سبحانه، ومهما كان المتكلم ولا فرق حينئذ بين كلام وكلام، "فالكلام الإلهي يمتد بنظره ليشمل إلى جانب الوجود، كل كلام لفظي أياً كان الناطق به"[٦٩]. ولست أدري كما يقول ابن عربي بأي حق حجر المسلمون على كلام الله وحدوه بما بين الدفتين دون سواهما؟! وهكذا كان استخفافه بالقرآن والتهوين من شأنه.

كل كلام فهو كلام الله، وعندها لا فرق بين كلام الصوفي مثلاً وكلامه تعالى حتى أصبح كما يقول الدكتور نصر أبو زيد "يصعب على

---

[٦٦] ـ ص٢٠ ج٢ بـ٧٣ نفسه
[٦٧] ـ ص١٥٨ ج٣ بـ٣٤٠ نفسه
[٦٨] ـ ص١٠٤ ج٤ بـ٤٧٢ نفسه
[٦٩] ـ ص٢٧٩ فلسفة التأويل

الباحث في أحيان كثيرة الفصل بين النص القرآني وكلام ابن عربي"[٧٠] في كتبه ومثال ذلك: "فبأي آلاء ربكما تكذبان يخرج من بحر الأزل اللؤلؤ ومن بحر الأبد المرجان، فبأي آلاء ربكما تكذبان. كل من عليها فان وإن لم تنعدم الأعيان"[٧١]. وما أكثر أمثال هذا التخليط المقصود به إصلاح النقص عن طريق الزيادة أو بالزيادة والنقصان لمن تعقبه في فتوحاته خاصة.

[٧٠] - ص٢٦، ٢٥٨ فلسفة التأويل، ص١٩ ج١ فصوص الحكم
[٧١] - ص٢٥٩ فلسفة التأويل

## ـ ابن عربي وتحريف القرآن:

إن لابن عربي الباع الطويلة في تحريف كثير من آيات القرآن الكريم موافقة لما آمن به من عقائد، فعلى سبيل المثال لا الحصر أنه من أجل تحريف قوله تعالى: "ألا تعبدوا إلا إياه" عزل معناها عن النهي إلى الحكم وجعلها على صواب "أن لا تعبدوا إلا إياه"[٧٢] تبريراً لعقيدته في وحدة العقائد التي تكلمنا عنها الكثير في غير هذا الكتاب. وكذلك نراه يزيد ألفاظاً كثيرة لا على معنى التفسير وإنما على زعم ارتباطها بالقول الإلهي مثال ذلك: "ومن يدع مع الله إلهاً آخر لا برهان له به"[٧٣]، وكذلك يقول: "قال تعالى: إن الذين اتقوا إذا مسهم طيف من الشيطان..."[٧٤].

وابن عربي لم يبخل علينا بمثل عن منهجه التحريفي حتى راح يصف لنا واقعة من كشفياته حيث يقول: "ولقد رأيت. مشهداً هالني في الواقعة. وتُليت علي سورة الواقعة بلسان امرأة من صالحات المؤمنات عرضاً علي، فكان من صورة ما تلته: ثلة من الأولين ثلة من الآخرين بحذف واو العطف. ولم يكن عندي من ذلك سر قبل هذا. فرددت عليها لتقرأ ذلك بحرف الواو فلم تفعل فرجعت إلى نفسي وعلمتُ ما نبهني الحق

---

[٧٢] ـ ص٤٠٥ ج١ بـ٦٩ الفتوحات المكية
[٧٣] ـ ص٤٠٥ ج١ نفسه
[٧٤] ـ ص٣٦ ـ ٣٧ ج٢ بـ٧٣ نفسه

به في ذلك الحذف من الاقتطاع بين العالم- فقلت ما أراد بحذف الواو من نطقها بذلك وهو الله ليعلم أنه ليس كمثله شيء مع وجود الأشياء"[٧٥].

أي: أن الله هو الذي قصد بالقراءة الجديدة الوصول إلى وحدة الحق والخلق، فالحق تعالى يقرأ القرآن الصحيح عليه، فليست القضية قضية تحريف بزعمه إنما هي قضية انطباق المصحف الأم مع المصحف الذي بين أيدي الخلق أو عدم انطباقهما، والذي يقوله الصوفي هو الصواب وقرآنه هو الصحيح، وفي ذلك يقول ابن عربي عن قرآن الدفتين: "**فإن هذا الذي بأيدينا هو قرآن بلا شك، ونعلم أنه قد سقط منه كثير، فلو كان رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذي جمعه لوقفنا عنده** وقلنا: هذا وحده هو الذي نتلوه يوم القيامة إذا قيل لقارئ القرآن اقرأ ورق- وما نازع أحد من الصحابة في مصحف عثمان أنه قرآن فإذا حصل الإنسان بما انفرد به في منزلة من هذه المنازل – الكشفية – فإنها تعطيه حقيقة ما هي عليه- وما منعني من تعيينها إلا ما يسبق إلا القلوب الضعيفة من ذلك، ووضع الحكمة في غير موضعها، **فإن الحافظين أسرار الله قليلون**"[٧٦].

فالرسول إذن لم يجمع القرآن وعندما جمعه الصحابة حسب رأيه سقط منه كثير إلا أنهم لم يشكوا بأن مصحف عثمان قرآن ولكن ليس كل

---

٧٥ - ص٣٨٦ ج٣ بـ٣٦٩ نفسه

٧٦ - ص٤٤٧ ج١ بـ١٩٨ فصل ٢٦ الفتوحات المكية

القرآن، ومن كان له المعراج في المنازل الكشفية للطريق الصوفي سيدرك حقيقة الأمر ويتعرف إلى القرآن الصحيح قرآن الله المعتمد في الآخرة لا هذا القرآن الذي نالته يد التحريف، وابن عربي يزعم أنه تعرَّف إلى الفرق بينهما، ولكنه لا يستطيع تعيينه خشية من أصحاب القلوب الضعيفة خاصة الفقهاء والعوام، أو لأنه لم يجد من يبوح له بأسراره هذه لأن الغالب على البشر عدم حفظهم للسر.

إلا أن ابن عربي ورغم حرصه الشديد على أسراره هذه لم يبخل علينا بواقعة أخرى فيها التصحيح للقرآن حيث يقول: "لما اطلعني الله تعالى على إنزال هذه الآية- فقيل لي: اقرأ. قلت: وما أقرأ؟ فقيل لي: أقرأ وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة أن أخذه أليم شديد. فقرأت هذه الآية على ما كنت أحفظها. فقيل لي لمَّا وصلت إلى قوله تعالى: إن أخذه، قيل لي: قل: بك. فقلت ما هو بالقرآن ولا نزل كذا. فقيل لي: لا تقل هكذا، بل هكذا هو، وكذا أُنزل"[٧٧].

وبهذه الآية التي هي الصواب حسب كشفه، كان قتله بتلاوتها لرجل من المنكرين عليه كدلالة على صدق روايته أو واقعته وأصبحت الآية "إن أخذه بك أليم شديد" بدلاً من المنقوصة بزعمه التي تقول "إن أخذه أليم شديد".

[٧٧] - ص٦٩٣ ج٢ بـ٢٩٩ نفسه

ليس في منهج الصوفي طالما معرفته من لدن الله أي مجال للخطأ، فالمتصوفة هم الورثة لكلام الله، والعارف أو الولي له وراثة الكتاب الذي لا تحريف فيه لا هذا الكتاب الذي تحوم حوله الشبهات، "فالمصطفون – كما يقول ابن عربي – هم الذين ورثوا الكتاب وهو القرآن المحفوظ من التحريف والزيادة، فلو حُفظت سائر الكتب لورثت، فمن كوشف منها على ما ثبت أنه إلهي ورثه وحكم به على بصيرة"[٧٨].

فالصوفي لا يرث إلا ما هو صحيح النسب إلى الله ومن هذا الإرث كانت عقائد القوم، فالله سبحانه وتعالى في حديث قدسي مع ابن عربي يقول: "فأنا أتلو كتابي عليه – أي على الصوفي – بلسانه وهو يسمع. أنا الذي أشرح له كلامي وأترجم له عن معناه. فيأخذ العلم مني لا من فكره واعتباره. فأقول له يا عبدي أردت بهذه الآية كذا وكذا. فإنه مني سمع القرآن ومني سمع شرحه وتفسير معانيه. فمثل هذا العبد هو لي"[٧٩].

فأين يكون الخطأ عند أهل الله في تصحيحهم للقرآن، وأي عصمة في التفسير أعظم من ذلك؟ فأهل التصوف كما يقول ابن عربي: "أحق بشرحه وبيان ما أنزل الله فيه من علماء الرسوم، فيكون شرحه لهم "تنزيلاً من عند الله على قلوب أهل الله كما كان الأصل. وفي ذلك قال أبو يزيد: أخذتم علماً ميتاً عن ميت، وأخذنا علمنا عن الحي الذي لا

[٧٨] - ص٤١٣ ج٤ بـ٥٥٩ نفسه
[٧٩] - ص٢٣٩ ج١ بـ٤١ نفسه

يموت-. وكان الشيخ أبو مدين رحمه الله إذا قيل له قال فلان عن فلان عن فلان يقول: ما نريد نأكل قديداً هاتوا أئتوني بلحم طري-. حدِّثوا عن ربكم واتركوا فلاناً وفلاناً"[٨٠].

فمن أراد التفسير إذن فعليه أخذه من الله أو ممن يأخذه من الله مباشرة، ودعك من كل ما سواه فقهاء كانوا أو صحابة أو مفسرين، فليس من أحد يحق له التفسير إلا المتصوفة المتصلون بالله، ويضرب ابن عربي مثلاً تفسيرياً عن الله حيث أنه في واقعة له ناوله المَلك قطعة أرض – يقول ابن عربي - : فعندما تحصل في يدي أجدها قوله تعالى: وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره لئلا يكون للناس عليكم حجة إلى قوله واشكروا لي ولا تكفرون. فكنت أتعجب ما كنت أقدر أن أنكر أنها عين هذه الآيات ولا أنكر أنها قطعة أرض. وقيل لي: هكذا أنزل القرآن، أنزلت على محمد صلى الله عليه وسلم. فكنت أرى رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقول لي: هكذا أنزلت عليَّ فخذها ذوقاً، وهكذا هو الأمر-. "ثم أقسم منشداً":

*"والله ما ثم حديث سوى هذا الذي قد شهدت مقلتي"*[٨١]

فليس حسب هذه الواقعة الكشفية من تحديد لاتجاه السجود بمكان دون مكان بكعبة أو مسجد طالما لا موجود إلا الله، وهل سبحانه إلا

---

[٨٠] - ص٢٨٠ ج١ بـ٥٤ نفسه

[٨١] - ص٧١٤ ج١ بـ٧٢ نفسه

الأرض والسماء وكل الأشياء، وهو تفسيره لقول الله بزعمه: "وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره لئلا يكون للناس عليكم حجة" لا، بل إن الرسول نفسه قد اعترف بأن الآية هي هكذا بالأًصل، وبهذا اللفظ والمعنى أنزلت عليه، وهل محمد صلى الله عليه وسلم عندها إلا الذي كتم الحقيقة عن أصحابه وأمته إن لم يحرف أصحابه لكتابه؟ وهل للعارف أن يقسم كذباً!

وهل تلاوة الله لكتابه على العبد بالأمر اليسير وسهل المنال حتى يكون له التعرف على صدق الصوفي أو كذبه؟ لا، وفي ذلك يقول ابن عربي: "لعلك يا بني تشتهي أن يتلو الحق عليك كتابه وأنت ملاحظ نفسك موجودة مع أبناء جنسك، هيهات. فمتى شاء هذا بك أفناك عنك وجردك منك وبقيت في الوجود شبحاً مفقوداً، فإذا فعل بك تلاه عليك وتلاوته عليك على ثلاثة أضرب:

الأول: إيجاده المحامد فيك"[٨٢]، وعندها "فالحق هو الحامد والمحمود والعبد حامد ومحمود"[٨٣] ولا موجود سواه سبحانه وتعالى.

"الضرب الثاني: تلاوته عليه بما ينتجه العبد"[٨٤] للتأكد من صدق ما لديه.

---

[٨٢] - ص٨٥ مواقع النجوم

[٨٣] - ص٨٦ نفسه

"الضرب الثالث: تلاوة خارجة من الخلق والاختراع والابتداع ينالها بعض العبيد في هذه الدار حقيقة واطلاعاً وينالها بعضهم في الدار الآخرة وهذا فضل منعنا – الله عن كشفه – "[85].

فلا بد إذن من الخروج عن الجنس على أجنحة الفناء للالتحاق بالفلك الإلهي، وعند الاتحاد بالله أو الفناء فيه سيتلو عليك كتابه وعندها يكون هو المتكلم بلسانك والتالي عليك، أو سيكون العبد تاليا على الله ليتعرف إلى صدق ما لديه من القرآن المقروء أو سيكون ممن لهم درجة اختراع الألفاظ المعبِّرة عن المعنى الإلهي الذي اطلعهم الله عليه، وعلامة ذلك كله زوال الفرق عند العارف بين الخالق والمخلوق أو الحامد والمحمود أو المكلِّف والمكلَّف وهذا فضل أو سر منع ابن عربي من كشفه على الملأ.

*"وكن حقاً ولا تظهر بزور — وكن عين القرآن إذا تلوتا*
*لأن الله لم يسمع لعبد — يناديه بما يتلوه صوتا*
*فإن يتلو بحق قال عبدي — وكان حاله المشهود ميتا*
*لأن الحق ليس يراه حي — لذا كتبوا على الأحياء موتا"* [86]

---

[84] - ص٨٦ نفسه
[85] - ص٨٧ نفسه
[86] - ص٥١ ج٤ بـ٤٣٨ نفسه

ففي الفناء يكون القرآن وبه تكون التلاوة، وأين ذلك من تلاوته من الكتب والأصوات التي بها الفرق بين الخالق والمخلوق، فإن الله لا يسمع أمثال هذه الطريقة في التلاوة، وما هي جديرة إلا بالمحجوبين والعوام، فالفناء معناه موت الفرق وكل ما له إشارة إليه سبحانه بحيث لا موجود عندها إلا لله، والله عندئذ هو الذي يتلو وسيان عندها إن قلت له يا عبدي أو قال لك يا ربي، ولذلك استن المتصوفة موت أو فناء الفرق لمن أراد أن يكون عين القرآن، ومن الجدير بالذكر أن ابن عربي كما صرح كان له هذا المقام وفي ذلك يقول:

*"كلامي ليس غيري وهو غيري كما قلنا رميت وما رميتا"* [٨٧]

فكل كلامه أصبح كلاماً لله أو قرآناً، تماماً كما كان بالتشبيه لمحمد صلى الله عليه وسلم من قوله تعالى: "وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى"، فاليد للرسول صلى الله عليه وسلم والرامي هو الله جل جلاله كما هو الناطق بلسان ابن عربي وتلك هي مرحلة العلم الكشفي التي تنتفي فيها ثلاثية: المتكلم، الكلام، المستمع. وفي هذه المرحلة يسمع الصوفي عن الله بلا واسطة ويتوحد القرآن بالوجود في معرفة الصوفي وفهمه-.

---

[٨٧] - ص٥١ ج٤ بـ٤٣٨ نفسه

وبذلك يتجاوز ظاهر القرآن وباطنه وحده واقفاً على مطلعه الذي هو حقائق الألوهية"[٨٨]. ومن هذا المنطلق قال ابن عربي:

*"أنــــا القـــرآن والســـبع المثــــاني ورروح الــروح لا روح الأوانـــي"* [٨٩]

وهل من معارضة عندها أو إنكار على الزاعم أنه القرآن إن قال أن قرآن الدفتين محرف وغير محفوظ؟! وما الإنكار عندها إن علمت إلا الإنكار على الله نفسه لأن الله والصوفي أصبحا سيان بلا فرق، تماماً كالوسطاء إن هيمنت عليهم الأرواح!

---

٨٨ - ص٢٩٣ فلسفة التأويل

٨٩ - ص١٠ ج١ بـ٢ الفتوحات المكية

## ـ محمد مترجم غير معصوم:

القرآن برأي الصوفي فيه تحريف وزيادة ونقصان! وهل سينجو محمداً صلى الله عليه وسلم من مسألة التحريف هذه؟

يقول المتصوفة إن علاقتهم بالنصوص هي علاقة الفهم الخاص الذي لهم عن الله، ولكن ما معنى هذا الفهم؟ ففي الإجابة على هذا السؤال تكمن المسألة الأهم. فالفهم ببساطة هو ما أتى به جبريل إلى قلب النبي صلى الله عليه وسلم، والنبي ترجمه بما يملك من كلمات وألفاظ، وما الكلام الموجود بين الدفتين إلا كلام محمد لا كلام الله، وهنا يكون المغزى من تفضيل الدباغ للسريانية على العربية.

ابن عربي كما هو معلوم وارتباطاً بالظاهر والباطن يميز بين مستويين للكلام: مستوى مجرد من المادة كالألفاظ أو اللغة وإلى ما هنالك وهو الجانب الباطني الذي سماه "الفهم". ومستوى آخر تصاحبه المادة بكل ما تعنيه من حروف وألفاظ وأشياء وهو ما يملك وجوده الظاهر من عالم المادة، والقرآن تبعاً لذلك قد نزل معنى أو فهم مجرد دون ألفاظ ومحمد ترجم هذا المعنى أو قام بصياغته بألفاظ وكلمات عربية، مما يملكه من رصيد لغوي معجز أو مما لديه من جوامع الكلم، وفي ذلك يقول ابن عربي: "ولما علم "صلى الله عليه وسلم" بجوامع الكلم، أعطي الإعجاز بالقرآن- فوقع الإعجاز في الترجمة التي هي له-. فهو "أي

محمد" لسان الحق وسمعه وبصره، وهو أعلى المراتب الإلهية. وينزل عنها "في الدرجة" من كان الحق سمعه وبصره ولسانه "إن ترجم"-. لنا أحوال من قبلنا وما قالوه- والملائكة فيما قالوه وعن إبليس مع إبلاسه وشيطنته وبُعده بما قاله، ولا يترجم عن الله إلا من له الاختصاص الذي لا اختصاص فوقه"[٩٠].

فإعجاز القرآن حسب رأيه يعود إلى محمد صلى الله عليه وسلم الذي له العلم بجوامع الكلم لا إلى الله وما بين الدفتين كلامه صلى الله عليه وسلم لا كلام الله!! ولمحمد صلى الله عليه وسلم مقامان، الأول: محمد لسان الحق تعالى وسمعه وبصره، لاتحادهما معاً مع انعدام الفرق بينهما، وفي هذا المقام النقي لا ترجمة لديه ولا ذكر لما سوى الله، وهذا أيضاً هو مقام أولياء التصوف ذوي الاختصاص.

الثاني: محمد لسان الحق تعالى وسمعه وبصره، ولكن لأغراضه صلى الله عليه وسلم من حيث هو داعية، كان احتواء قرآنه لذكر ووجود أقوال من كان قبلنا وللملائكة والشياطين بينما الأولياء لا يترجمون عن الله إلا بالله لأنهم منزهون عن ذكر كل ما سواه سبحانه وتعالى وهم بالتالي الأنقى علاقة مع الله من محمد الذي اجتمع لديه الغث والسمين!!

---

[٩٠] - ص١٤٣ ج٣ بـ٣٣٧ الفتوحات المكية

أولياء التصوف أصحاب فهم وقد خصوا به من الله كما يزعمون وهنا مكمن الخطر من وجهة النظر الإسلامية فهم الورثة لكل ما كان للنبي صلى الله عليه وسلم فهم على سنته حالاً بحال ومقاماً بمقام وقدماً بقدم، وابن عربي يقول: "وما كل من فهم الكلام فهم عن المتكلم ما أراد به على التعيين-. فنزول القرآن على القلب بهذا الفهم الخاص هي تلاوة الحق على العبد، والفهم عنه فيه تلاوة العبد على الحق وتلاوة العبد على الحق عرض الفهم عنه ليعلم أنه على بصيرة في ذلك بتقرير الحق إياه عليه"[٩١].

أي: قد يخطئ المترجم بفهمه للمعنى لأن الترجمة تعني ترجمة المفهوم، ولهذا يعرض أولياء التصوف فهمهم للنص على الله، فإن أقرهم فهو الصواب للترجمة النبوية وإلا فلا نزول لهم عما فهموه، وبهذه الفكرة تكون مصادرتهم لتفسير القرآن وجعل أنفسهم القيّمون على ما فيه بزعمهم من ترجمة صحيحة أو خاطئة وليس هذا فحسب فالفهم كما يقول ابن عربي: "نزل على قلب محمد صلى الله عليه وسلم، نزل به الروح الأمين ثم لا يزال ينزل على قلوب أمته إلى يوم القيامة، فنزوله في القلوب جديد لا يبلى، فهو الوحي الدائم، فللرسول صلوات الله عليه وسلامه الأولية في ذلك والتبليغ إلى الأسماع من البشر والابتداء من

---

[٩١] - ص١٢٩ ج٣ بـ٣٣٤ الفتوحات المكية

البشر فصار القرآن برزخاً بين الحق والإنسان وظهر في قلبه على صورة لم يظهر بها في لسانه"[٩٢]. أي: فكما نزل القرآن فهماً على قلب النبي كذلك ينزل الفهم على الأولياء إلى يوم القيامة، وكل الاختلاف أنه صلى الله عليه وسلم قد خُصَّ بالأولية وتبليغ ما نزل عليه إلى البشر، وبهذا التبليغ الذي شغل به محمد كان تشوه الترجمة، ولهذا أصبح القرآن برزخاً فاصلاً بين الله والإنسان وأصبح قراؤه يحكِّمونه بما يقوله أهل الله من الفهم الخالص الذي ينزل على قلوبهم من الله.

وإن قلنا من جهة أخرى: أن الترجمة تعني أن الكلام الذي ما بين الدفتين هو كلام محمد لا الله، قال ابن عربي: لا، بل هو كلام الله بشهادة قوله تعالى لمحمد "فأجره حتى يسمع كلام الله، فتلاه رسول الله صلى الله عليه وسلم أصواتاً وحروفاً سمعها الأعرابي بسمع أذنه في حال ترجمته، فالكلام لله بلا شك والترجمة للمتكلم به كان من كان"[٩٣].

وهذا المعنى حقيقة يعود لاعتقاد ابن عربي بتوحيد الكلام القائل: لا متكلم إلا الله بلسان كل متكلم، وبهذا فسَّر قوله تعالى: "فأجره حتى يسمع كلام الله" وما تكلم مع المشرك إلا محمد بكلامه الذي نسبه الله إليه. وبالنتيجة فلا فاعل إلا الله ولا موجود سواه سبحانه، وبذلك رأى ابن

[٩٢] - ص١٠٨ ج٣ بـ٣٢٩ نفسه
[٩٣] - ص١٠٨ ج٣ بـ٣٢٩ نفسه

عربي بما أتاه الله من فهم خالص أن القرآن جمع وهذا ما لم يصرح به الرسول صلى الله عليه وسلم!!

الرسول بترجمته أو صياغته للقرآن لم يكن مكترثاً بالتطابق بين الترجمة والفهم، فكيف له مثلاً توبيخ الأعرابي لجمعه الله ورسوله على ضمير واحد؟ ثم نراه وقد ناقض نفسه لما جمع نفسه مع الله، وفي ذلك يقول: "لا تقل بئس الخطيب من أجل الضمير فقد جمع بينهما محمد صلى الله عليه وسلم- بقوله من يطع الرسول فقد أطاع الله ولا سيما إذا أثبت أنه ما في الوجود إلا الله"[٩٤].

فالرسول صلى الله عليه وسلم برأيه هو القائل: "من يطع الرسول فقد أطاع الله"! ولو أعلن بترجمته وحدة الوجود أو ما في الوجود إلا الله، التي أخفاها النبي عن الناس لما كان له الوقوع في التناقض ما بين النفي والإثبات.

وعن علاقة القرآن بمحمد صلى الله عليه وسلم من جهة أخرى يقول: "فمن أراد أن يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم ممن لم يدركه من أمته فلينظر إلى القرآن- فكأن القرآن انتشأ صورة جسدية يقال لها محمد بن عبد الله بن عبد المطلب- فكان صلى الله عليه وسلم ينشئ في ليل هيكله وظلمة طبيعته- صوراً عملية ليلية- ويستعين بالحق لتجليه في

٩٤ - ص٣٥٦ ــ ٣٥٧ ج٤ بـ٥٥٩ نفسه

إنشائها على الشهود- ولم تكن هذه الصور إلا الصلاة- ومنه "أي القرآن" ما كان موجوداً في الكتب وما ليس في الكتب- لأن القرآن كان خَلْقُه"[٩٥].

والحقيقة إن هذا النص قد سخره ابن عربي بما فيه من شعوذة وخوف من الإفصاح عما يريد قوله، إنما هو للرد على قول عائشة رضي الله عنها: "كان خُلُقه القرآن" بجعله المساواة بين خُلُقه وخَلَقه فمحمد هو القرآن المتجسد بما فيه من تناقض بما فيه من أغراض لكسب الأتباع بما فيه من اضطراب، فقرآنه هو المعبر عن نفسه، فقد كان يجلس في الليل مع ليل هيكله وظلمة طبيعته لإنشاء المعتقدات التي يشغل بها أتباعه من تكاليف كإقامة الصلاة وإلى ما هنالك لغايات في نفسه. حتى أنه في صياغته للقرآن قد اعتمد على ما كان في الكتب وما كان له من لدن نفسه، وما القرآن بالنتيجة إلا من "خَلْقه" فهو الذي افتراه ثم نسبه إلى الله!

وحسب اعتقاد ابن عربي الذي تكلمنا عنه في غير هذا المكان: أن صناع العقائد والشرائع سواء كانوا أنبياء أو حكماء أو فلاسفة هم الذين ينشئون ما يعتقدون، وعلى الله أن يصدِّقها بما يهبها من الأرواح، "فللعالِم – كما يقول – إنشاء الصور وللحق أرواحها"[٩٦]، ومما يعزز هذا الرأي أيضاً قوله بأن للسور القرآنية أرواحاً بإمكانها أن تتجسد أمام أولياء

---

[٩٥] - ص٦١ ج٤ بـ٤٤٦ نفسه
[٩٦] - ص٦١ نفسه

العارفين وعن سورة الإخلاص مثلاً يقول: "تجلت "أو ظهرت" لنا هذه السورة بمدينة حلب وقيل لي لما رأيتها: هذه سورة لم يطمثها إنس ولا جان"[٩٧]. ولكن لم يقل صراحة بأنها تجسدت لتكون له عروساً ينكحها دون غيره من البشر أو الجن! وفاطمة بنت ابن المثنى القرطبي أيضاً كانت تجسِّد الفاتحة لتخدمها في كل ما تريد"[٩٨].

القرآن إذن من خَلق محمد صلى الله عليه وسلم وهو خُلُقه وابن عربي غير معجب بترجمة الرسول وإنما يتعجب من تقصيره صلى الله عليه وسلم في إدراك الحقائق قائلاً: "العجب كل العجب من قذف الحق على الباطل والباطل عدم، فما وقع على شيء، فلمن دفع بقذفه ولا عين له في الوجود ولو كان له وجود لكان حقاً، فهذا من أعجب ما سمعته الآذان"[٩٩].

أي: فقذف الحق على الباطل الذي قالت به آية من القرآن الذي ترجمه محمد صلى الله عليه وسلم غير صحيح بمعيار "الوجود خير والشر عدم" فإذا كان الشر أو الباطل عدم لا وجود له، فكيف يكون قذف العدم بالوجود فهذا هراء ما سمعت الآذان بأعجب منه!

---

[٩٧] - ص١٨٨ ج٣ بـ٣٤٥ نفسه
[٩٨] - ص٣٤٧ – ٣٤٨ ج٢ بـ١٧٨ نفسه
[٩٩] - ص٤٠٢ ج٤ بـ٥٥٩ نفسه

إن الترجمة وأياً كان المترجم، لا بد للأخطاء أن تتبعها سواء كان مصدرها التضارب مع أغراض المترجم أو من نسبية الفهم وعدم إدراكه للمقصود أو قصور التعبير عنه. ومن أجل هذا كله نادى المتصوفة بهجر قرآن الدفتين للاتجاه نحو القرآن المحفوظ أو القرآن الأم، وإن كان ولا بد من قرآن الدفتين فلا بد من عرض المفهوم عنه على الله أو "بدلاً من إنفاق الوقت في مطالعة الكتب الصامتة "أو قرآن الدفتين" كما يقول صادق عنقا" ينبغي أن نجاهد في ذواتنا- لقبول أمواج المعاني العالية والعميقة"[١٠٠]. وبهذا يكون اتخاذ أهل التصوف للفهم اللدني بديلاً عن قرآن الترجمة أو لنسخه كله.

---

١٠٠ - ص٨٦ من الفكر الصوفي الإيراني

**ـ الحقيقة القرآنية والحقيقة المحمدية:**

لقد رأينا عند الحديث عن الخلق أو الصدور عند ابن عربي أن الحقيقة المحمدية ذات مهمة مزدوجة وجودية ومعرفية، والقرآن ينتمي إلى الجانب المعرفي وهو الممثل لحقيقة محمد ومعرفته. فمحمد بتعبير آخر ذا جانبين: الجانب الظاهر وهو وجوده المتشيء في مكة بجسمه البشري، والجانب الباطني وهو وجوده الروحي المسمى الحقيقة المحمدية أو العقل "الفعال" الذي استند إليه فعل الإيجاد أو الخلق.

إن محمداً بوجهه الباطن أو بحقيقته كان له علم بالقرآن قبل نزوله عليه، أي قبل تجسده بمحمد بن عبد الله البشري. وعلمه الأول هذا لم يكن له عن طريق جبريل عليه السلام، وإنما كان مجملاً وفق طبيعة الفهم المجمل وابن عربي يقول في ذلك: "فإن عندنا من طريق الكشف أن الفرقان حصل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم قرآناً مجملاً غير مفصل الآيات والسور ولهذا كان عليه السلام يعجل به حين كان ينزل عليه به جبريل عليه السلام بالفرقان، فقيل له ولا تعجل بالقرآن الذي عندك فتلقيه مجملاً فلا يفهم عنك من قبل أن يقضي إليك وحيه فرقاناً مفصلاً وقل رب زدني علماً بتفصيل ما أجملته فيَّ من المعاني وقد أشار من باب الأسرار فقال: إنا أنزلنا في ليلة ولم يقل بعضه"[١٠١]، فلا تعجل به

---

[١٠١] - ص٨٣ ج١ بـ٢ الفتوحات المكية

يا محمد "أي لا تعجل بتلاوة ما عندك منه قبل أن تسمعه من جبريل، بل اسمعه من جبريل وأنت منصت إليه كأنك ما سمعته قط"[١٠٢]

فحقيقة محمد أو روحه لها علم مجمل بالقرآن وجبريل نزل على محمد البشري بالقرآن على التفصيل ولذلك سمي فرقاناً وتلك هي مهمة جبريل في أداء الرسالة، وبرهانه على ذلك أن محمداً كان يعجل بتلاوة ما يعرف على جبريل ولذلك أمره الله بالتريث وعدم العجلة وإلا فلا أحد سيفهم عليه إن ألقاه إلى الناس مجملاً، فالقرآن وفق عقيدة الظاهر والباطن نسختان: نسخة مجملة عن الله وهي الأقرب إليه تعالى والأصح ونسخة على التفصيل نزل به جبريل وهو الكتاب الذي بين أيدي الناس.

ويقول ابن عربي أن روحانية محمد صلى الله عليه وسلم أو الحقيقة المحمدية: كانت "تكتسب عن كل حركة من الزمان أخلاقاً بحسب ما أودع الله في تلك الحركات من الأمور الإلهية، فما زالت تكتسب هذه الصفات الروحانية قبل وجود تركيبها إلى أن ظهرت صورة جسمه في عالم الدنيا"[١٠٣]. فمن السماء الأولى كان لروحه إدراك القرآن، ومن السماء الثانية كان له علم الأولين والآخرين ومن السماء الثالثة كان له السيف وفنون القتال وتسخير الملائكة، ومن السماء الرابعة كان نسخه للشرائع السابقة، ومن السماء الخامسة كان حبه للنساء، ومن السادسة تعلم

١٠٢ - ص٢١ ج٢ م٣٢ اليواقيت والجواهر
١٠٣ - ص١٤٦ ج١ بـ١٢ الفتوحات المكية

إعجاز القرآن أو جوامع الكلم، ومن السابعة أو الدنيا كان له ختم النبوة، وهذا كله استفاده قبل تجسده في مكة"[١٠٤]، وللبرهان على أن القرآن جمع تبعاً لتوحيد لا معبود إلا الله استعان بفكرة احتواء القرآن للكتب القرآنية السابقة عليه، فقال: سمي قرآنا لأنه جمع ما نزل بالكتب والصحف وما لا ينزل، ففيه كل ما في الكتب كلها المنزلة وفيه ما لم ينزل في كتاب ولا صحيفة"[١٠٥]. فالقرآن حسب زعمه جمع ومن بعض معاني الجمع جمعه للكتب السابقة، وبمصطلح الجمع هذا رأى أن القرآن قد جمع بين المؤمنين والمشركين والكفرة والملائكة والشياطين وكل العقائد التي عرفها البشر، ولو كانت هذه العقائد المختلفة من غير تجلياته تعالى لما ذُكرت في القرآن، يقول: لقد "سمي القرآن ذكرا وفيه أسماء الشياطين، والمغضوب عليهم، والمتلفظ به يسمى ذاكراً لله، فإنه كلام الله، فذكرتهم بذكر الله، وهذا مما يؤيد قول من قال "يقصد الغزالي": ليس في الوجود إلا الله"[١٠٦] أو ما ثم إلا الله.

القرآن جمع وبالجمع يكون البرهان على صحة العقائد جميعها رغم اختلاف أنواعها وبهذا يقول ابن عربي: "وإذا كان مقام القرآن ومنزلته ما ذكرناه عن الجمع وجد كل موجود فيه ما يريد، ولذلك كان الشيخ أبو

---

١٠٤ - ص١٤٤ – ١٤٥ ج١ بـ١٢ نفسه

١٠٥ - ص٥٠٠ ج٣ بـ٣٧٩ نفسه

١٠٦ - ص١١٩ ج٢ بـ٧١ نفسه

مدين يقول: لا يكون المريد مريداً حتى يجد في القرآن كل ما يريد وكل كلام لا يكون له هذا العموم فليس بقرآن"[١٠٧]. فكل العقائد إذن موجودة فيه وكل ما لا يعطي هذه الميزة من آياته فليس بقرآن أو ليس من الفهم أو النسخة الأم!

ودفاعاً عن الشيطان الذي هو برأيه واحداً من أسماء الله، ومن أجل ضمه إلى موجودات القرآن وتبياناً لمعنى الجمع يقول ابن عربي: "إذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم. فإن القرآن جمع والجمعية تدعو للحضور فهي معينة له "إلى الحضور" بخلاف الفرقان، فالقرآن يحضره والفرقان يطرده- والموجودات كلها كلمات الله"[١٠٨].

أي: بما أن الوجود خير والشر عدم، فإبليس أو الشيطان طالما هو موجود فهو خير، وطالما كل موجود اسم من اسمائه تعالى أو كلمة من كلماته سبحانه، لهذا إن استعذت منه عند قراءة قرآن الفهم فهذا يعني دعوته للحضور، أما إن استعذت منه مع قراءة الفرقان أو قرآن الدفتين أو قرآن الترجمة فإن الاستعاذة هنا تعني الطرد والبعد وفرق كبير بين الظاهر والباطن، حتى أن محمداً لم يقل بقرآن الفرق هذا إلا ملاءمة لعقول العوام، ومن أجل العوام شوه ترجمة المعنى أو الفهم الذي نزل عليه، والنابلسي يقول: "ولا يقدر على شهوده قرآنا إلا الأنبياء، حيث

---

١٠٧ - ص٩٤ ج٣ بـ٣٢٥ نفسه

١٠٨ - ص٤٠٩ ج٤ بـ٥٥٩ نفسه

شهده محمد صلى الله عليه وسلم قرآنا وكذلك ذريته الكاملون. وشهده كذلك – أي الرسول – فرقاناً لعوام الخلق"[109]، ومن وصل إلى الفهم أو إلى الحقيقة المحمدية فسوف يكون له إدراك القرآن الذي معناه الجمع، والنابلسي يقول أيضاً: "لقد حصل ذلك لي لالتحاقي بالحقيقة المحمدية"[110].

أما الشيخ عبد الكريم الجيلاني فيرى أن القرآن يعني ذات الله أو التحقق الذاتي والفرقان يعني الفرق وتحقق الأسماء الإلهية وهو ما قاله ابن عربي. وبعروج العبد إلى الذات الإلهية يكون تنزل الحقائق الإلهية عليه "فإنزال القرآن كما يقول دفعة واحدة إلى السماء الدنيا إشارة إلى التحقيق الذاتي، ونزول الآيات مقطعة إشارة إلى ظهور الأسماء والصفات، حيث صفات الله فرقان وذات الله قرآن- وبهذا حصل الفرق في نفس الحق من حيث أسماؤه الحسنى وصفاته فإن اسمه الرحيم غير اسمه الشديد واسمه المنعم غير اسمه المنتقم"[111]. وهكذا قل في كل شيء.

فالقرآن إذن يعني الذات الإلهية والفرقان يعني الأسماء ومن وصل إلى الذات كان له القرآن، أما من وصل إلى الأسماء فليس له إلا الفرقان وشتان بين قرآن الأولياء وفرقان العلماء ولكل قوم كتابهم.

---

[109] - ص٦٠ الصوفية في شعر ابن الفارض

[110] - ص٦٢ نفسه

[111] - ص٦٧ ج١ بـ٣٤ الإنسان الكامل في معرفة الأواخر والأوائل

وبالنتيجة نجد أن من ثنائية "ظاهر – باطن" أو "نور – ظلام" كانت ثنائية "قرآن – فرقان" "فهم – ترجمة"، "محمد الروحي – محمد مكة"، ومن ثم كان الفصل بين قرآن النبي أو قرآن الدفتين وبين قرآن الأولياء الأصح والأفضل!

محمد صلى الله عليه وسلم مترجم وللترجمة أخطاءها فيستحيل لها أن تطابق الأصل والأصل أو الفهم الذي للأولياء هو الأفضل واللغة العربية وأي لغة كانت طالما هي على الفرق عاجزة على التعبير التام للفهم اللامنفصل بل إن انشغال محمد بنقل الفهم إلى الآخرين وملاءمة لعقولهم جعل ترجمته غير معبِّرة عن الحقيقة أو الأصل، وقرآن الأولياء بالتالي هو الأفضل لأنهم غير مكلفين بالترجمة لغيرهم أو الانشغال بدعوة الخلق إليهم.

من ذاكرة محمد الروحي اجتمع في القرآن كل ما كان موجوداً من العقائد على مدار التاريخ البشري ومما جمعه محمد في قرآنه كان توحيد لا معبود إلا الله، وبه أصبح لا تمييز بين الكفر والإيمان وبين عبادة الله وعبادة الكواكب والأوثان.

## ـ القرآن مستمر النزول:

القرآن مستمر النزول على الصوفي ولكن دونما وسائط كجبريل وغيره، وإنما من الله مباشرة كما كان لمحمد الروحي أو في حقيقته، وفرق كبير بين هذا النزول وقرآن الترجمة، يقول ابن عربي: "فإن الذي يدركه من يسمع كلام الله في نفسه منه تعالى برفع الوسائط ما يمكن أن يساوي في الإدراك من يسمعه بالترجمة عنه"[١١٢]. أي: إن ما يسمعه الصوفي بقلبه من الله هو الأفضل مقارنة بقرآن الدفتين أو قرآن الترجمة لأنه على الأقل لا يحتاج للتأويل لأن "سماع كلام الله تعالى بارتفاع الوسائط هو عين الفهم عنه، فلا يفتقر إلى تأويل وفكر في ذلك، وإنما يفتقر "إلى ذلك" من كلَّمه بالوسائط من رسول "كجبريل" أو كتاب، فلما كان عين السماع في هذا المقام عين الفهم، سأل الرؤية ـ فما المانع أن رآه موسى عليه السلام في حال التدكدك؟"[١١٣] أو الفناء والصعق؟ ومن أجل الترجمة التي فعلها محمد صلى الله عليه وسلم قيل في كلام الله أنه لقول رسول كريم. وقيل في قول الرسول صلى الله عليه وسلم أنه كلام الله تعالى إذا تلاه"[١١٤].

١١٢ ـ ص٣٩٤ ج٣ بـ٣٦٩ الفتوحات المكية
١١٣ ـ ص٣٩٥ ج٣ بـ٣٦٩ نفسه
١١٤ ـ ص٣٩٦ نفسه

الصوفي إذن وطالما له الوصول إلى الفناء له أن يرى ربه وله من الفهم بلا وسائط، والفهم يأتيه كفلق الصبح، ولذلك كان كلامه لا يحتاج إلى تأويل يوضح معناه كالذي تحتاجه الترجمة وما الفرق بين فهم الأولياء والقرآن الذي هو ترجمة إلا كالفرق بين الكشف والحجاب.

من كان على الفناء أو الموت فكلامه قرآن لأن الله هو المتكلم "فالعارف المكمل – كما يقول ابن عربي – يرى نفسه ميتاً بين يدي ربه عز وجل، فإذا كان الحق سمعه وبصره ويده ولسانه، يصلي عليه. قال تعالى: هو الذي يصلي عليكم فإذا كان الحق هو المصلي فيكون كلامه القرآن"[١١٥]. وهل الكلام عندها إلا لله وهل تكون الصلاة إلا بكلامه؟

الفتح أو الكشف عند القوم أنواع، منها فتوح العبارة وهو خاص بأولياء أمة محمد صلى الله عليه وسلم "ويكون التنزل على صاحب هذا الفتح – كما يقول – من المرتبة التي نزل فيها القرآن. خاصة من كونه قرآنا لا من كونه فرقاناً ولا من كونه كلام الله، فإن كلام الله لا يزال ينزل على قلوب أولياء الله- ولهذا التنزل في قلب الولي حلاوة- وقد يكون في الزمان رجال لهم هذا الفتح ولم ألقهم غير أني منهم بلا شك"[١١٦]، حتى أني كما يقول "لم أجد لذة أعظم من لذة وأنك لعلى خلق عظيم. فهذه أعظم

---

[١١٥] - ص٥٢٩ ج١ بـ٦٩ نفسه
[١١٦] - ص٥٠٦ ج٢ بـ٢١٦ نفسه

بشرى وردت عليَّ"[117]. فابن عربي كما يزعم كان له فتوح العبارة أو جوامع الكلم لا الكلام الإلهي فقط، حتى استطاع أن يعبِّر عما كان له من الفهم بالألفاظ، وتلك هي مساواته بمحمد المترجم، ولذلك كان خلطه لآيات القرآن بآيات من فتوحه، ومن جملة ما تلي عليه من الله عز وجل "وأنك لعلى خلق عظيم" بشرى وشهادة من الله لابن عربي بأخلاقه العظيمة!

القرآن مستمر النزول على الصوفي "قال تعالى: ما يأتيهم من ذكر ربهم محدث، وليس إلا القرآن وقد حدث عندهم بإتيانه"[118]. فإذا كان القرآن هو الذكر فإن الله هو الذي يقول باستمرار حدوثه أو نزوله على أوليائه دونما حد بزمن دونما زمن، هذا النزول الحديث أو المحدث هو القرآن الجديد، وعن آلية هذا النزول يقول ابن عربي: "فنزول القرآن في قلب المؤمن هو نزول الحق فيه فيكلم الحق هذا العبد في سره وهو قولهم: حدثني قلبي عن ربي من غير واسطة"[119] أي: بحلول الله في قلب الصوفي يكون للصوفي قرآنه الذي فيه الأمر الإلهي بكذا والنهي عن كذا.

القرآن ليس الكلام الذي بين الدفتين فقط، فكل الوجود كلماته تعالى وما الأشياء إلا كلمات إلهية متجسدة وكل كلام على الإطلاق فهو كلامه عز وجل، وفي ذلك يقول: "ولو أن قرآنا سيرت به الجبال أو قطعت به

---

١١٧ - ص٥٠٧ ج٢ بـ٢١٦ نفسه

١١٨ - ص٢٤٦ ج٤ بـ٥٥٨ حضرة الخفض

١١٩ - ص٩٣ – ٩٤ ج٣ بـ٣٢٥ نفسه

الأرض-. أو كلم الموتى-. فقوله تعالى قرآنا بالتنكير دليل على أحد أمرين: إما على آيات منه مخصوصة، كما ضرط الجبار عندما سمع صاعقة-. وإما أن يكون ثم أمر آخر ينطلق عليه أسم قرآن غير هذا فأما عندنا فكل كلام فهو إلهي"[١٢٠].

فليس للقرآن حسب رأيه من ميزة على غيره من الكلام، ولولا ذلك ما ذكر الله القرآن بالتنكير دنما تحديد بالدفتين وإلى ما هنالك، فليس هناك من ميزة لقرآن عن قرآن. أما أن يكون القرآن هو النعت لبعض آيات لها تسيير الجبال وتقطيع الأرض وإحياء الموتى فهذا غير معقول إلا قياساً على قولنا لقد ضرط الجبار عندما سمع صاعقة وهو تهويل لوصف حال النبي صلى الله عليه وسلم لما قال بعد أن نزل عليه بعض الوحي أو القرآن: زملوني، دثروني. وها هو القرآن كما يقول قد نزل علينا ولم نضرط ولم نرتعد ونهول حيث كنا على الجمع مع الله الذي لم يكن لمحمد، ويقول أيضاً في نفس الصفحة: ومن نزل عليه القرآن وهو "في حال كون الحق سمعه حصل له النزول ولم يظهر له أثر عليه-. فينتفي عنه الخشوع-. وقد نزل علينا من القرآن ذوقاً-. فوجدنا له ما لم نجد لحفظ حروفه ولا لتدبر معانيه، ونزل "القرآن" علينا في الحالين، فأثَّر في الحال الواحد الكوني "أو وهو على الفرق" ولم يؤثر في الحال الإلهي "أي وهو

---

[١٢٠] - ص١٩٤ ج٢ بـ١١٠ نفسه

مع الجمع أو الفناء" إلا لذة خاصة. وهذا الفرق بين تنزله على النبي صلى الله عليه وسلم وبين تنزله علينا، فإنه منزل في النبي صلى الله عليه وسلم على قلبه وفي صدره فنبوته له مشهودة، وينزل علينا بين جنبينا. فنبوتنا مستورة عنا مع كوننا محلاً لها"[١٢١]. فمحمد صلى الله عليه وسلم إذن كما يقول: "محجوب عن ذاته "تعالى" بربه"[١٢٢] أو بجبريل. أي إن الرسول الذي ظنوه جباراً قد خشع من نزول القرآن عليه لأنه على الفرق أو لأنه محجوب عن ذات الله بجبريل وإلا لكان مطروداً لأن الخشوع مطلوباً لحاله هذه حيث لم يكن الحق سمعه، ولو كان على الفناء في الجمع ما كان له خشوع، وكيف يكون الخشوع وما ثم إلا الله؟ أما المتصوفة أما نحن كما يقول ابن عربي، فقد كان لنا نزول القرآن على حال الفناء وعلى ما كان لمحمد أي على الحال الكوني أو الفرق، وما كان لنا خشوع ولا شعرنا بالأثر المزعج لأنه لا استعداد عندنا له أن يخيفنا من هذه التجربة كما كان لمحمد. وإنما شعرنا بلذة وجدناها أحلى من لذة الاشتغال بحفظ القرآن وتدبره. ولما كان الشيء بالشيء يذكر فاعلم بأننا نحن ومحمد في النبوة سواء وكل الفرق أن القرآن كان له ليبلغه للناس، بينما نحن في حل من ذلك التكليف، ولذلك كانت نبوتنا مستورة عن البوح بها مع كوننا محلاً لها!

---

[١٢١] - ص١٩٤ ج٢ بـ١١٠ الفتوحات المكية

[١٢٢] - ص١٩٤ ج٢ بـ١١١ نفسه

**ـ الجُنب ومس المصحف:**

لقد رجَّح الفقهاء تعظيماً للقرآن عدم جواز مس الجنب للمصحف، أما بالنسبة لمسِّه مع عدم الوضوء فقد استعرض ابن الجوزية رأياً يقول: "قال تعالى: "لا يمسه إلا المطهرون" وهم الملائكة، ولو أراد المتوضئين لقال: لا يمسسه إلا المتطهرون- فالملائكة مطهرون، والمؤمنون متطهرون، ومنها: أن هذا إخبار ولو كان نهياً لقال: لا يمسسه بالجزم"[١٢٣]. ويمتد هذا المعنى عند ابن عربي ليشمل الجنب قائلاً هو الآخر: إن هذه الآية ليست موجهة بالخطاب إلى البشر أو إلى كل البشر "فقوله تعالى: إنه لقرآن كريم في كتاب مكنون لا يمسه إلا المطهرون. ويعني بالكتاب المكنون الذي هو صحف مكرمة مرفوعة مطهرة بأيدي سفرة كرام بررة"[١٢٤].

فالمطهرون هم الملائكة والكلام غير موجه بالقصد ليعني القرآن الذي بين الدفتين، ولكنه من الأفضل برأيه مس المصحف على الطهارة أو الوضوء"[١٢٥].

أما بالنسبة للجنب فيقول: لقد "ذهب قوم إلى إجازة مس الجنب المصحف ومنع قوم"[١٢٦]. ولكن ما معنى المصحف عند الرجل، وما

---

[١٢٣] ـ ص٤١٧ ج٢ مدارج السالكين
[١٢٤] ـ ص٤٧٨ ج٤ بـ٥٦٠ الفتوحات المكية
[١٢٥] ـ ص٣٥٧ ج١ بـ٦٨ نفسه

معنى الجنب عند الواصلين؟ يقول: "العالم كله كلمات الله في الوجود- فأين يذهب هذا العبد وهو من جملة حروف هذا المصحف؟"[127]. فالكون إذن هو المصحف، فكيف للجنب ألا يمسه وهو من جملته، وبعد أن رأى تهافت هذا الرأي أو المعنى على مستوى الظاهر قال: إن الجنب وفق مصطلح أهل الباطن معناه الغريب عن أهل الله أو الأجنبي، وبذلك يقول: "وقد قررنا أن الجنابة هي الغربة"[128]، والجنب هو: "الغريب عما يستحقه الحق"[129]، "فأهل الله جعلوا القلب كالمصحف الذي يحوي كلام الله"[130]، "فإن تخلَّق فحينئذ تكون يد الحق تمس المصحف- إنه يده التي يبطش بها"[131]، "فلا يتلو حتى يتطهر في باطنه وصورة طهارة باطنه أن يكون الحق لسانه الذي يتكلم به كما كان الحق يده في مس المصحف فيكون الحق إذ ذاك هو يتلو كلامه لا العبد الجُنب"[132].

فمصحف الظاهر برأيه من جملة أشياء الوجود ولا فرق في ذلك بينه وبين الجنب طالما الجنب من الوجود، أما المصحف على الحقيقة أو مصحف الباطن من بعض الوجوه، فهو المصحف الكائن عن القلب وهذا لا يمسه أو يصل إليه إلا المطهرون الذين نظفوا قلوبهم حتى أصبحوا

---

[126] - ص٣٦٥ ج١ بـ٦٨ نفسه
[127] - ص٣٦٦ نفسه
[128] - ص٣٦٣ نفسه
[129] - ص٣٦٦ نفسه
[130] - ص٣٦٦ نفسه
[131] - ص٣٦٧ نفسه
[132] - ص٣٦٧ ج١ بـ٦٨ نفسه

كالملائكة، فهذا المصحف الأم أم المباشر من الله لا يمسه أو لا يصل إليه أي غريب عن أهل الله وهو خاص بالمتصوفة دون سواهم. والمتطهرون هؤلاء يجوز لأحدهم مس قرآن الظاهر وتلاوته على الجنابة، لأن الله هو الذي يمسه بأيديهم ويتلوه بألسنتهم، فليس مس المصحف في كلا الحالين وأعني بها الحجاب والوصول أو الفناء مشروطاً بالطهارة من الجنابة، ولو علم الغزالي المسكين بهذا الإفتاء لما كان له خطأ تفضيل الغناء على القرآن بحجة الجنابة!

إلا أن الشيخ عبد الكريم الجيلاني يقول بمعرض حديثه عن فرقة "السالمية" أنه بزعم هذه الفرقة "إن الله تعالى يقرأ على لسان كل قارئ، وأنهم إذا سمعوا القرآن من قارئ فإنما يسمعونه من الله ـ. قال: "إن هذا القول يفضي إلى الحلول، نعوذ بالله من ذلك، ويؤدي إلى أن الله تعالى يلحن ويلغط وهذا كفر"[١٣٣].

---

[١٣٣] - ص٣٤٩ من التراث الصوفي

**ـ كتب أولياء التصوف من الله:**

القرآن مستمر النزول، وكتب المتصوفة قرآن، فهي إما من الله وإما من الملائكة وإما عن موافقة من الرسول صلى الله عليه وسلم. ولا اعتراض على ما في بطونها إلا بمعنى الاعتراض على الله ورسله وملائكته. وعندما أراد الجنيد نيل المشيخة لم ير بداً من الاستعانة بالملائكة التي شهدت بصواب آرائه في المنام، حيث يقول: "رأيت في المنام كأني أتكلم على الناس فوقف علي مَلَكٌ فقال: أقرب ما تقرَّب به المقربون إلى الله تعالى ماذا؟ فقلت: عمل خفي بميزان وفي! فولى المَلكْ وهو يقول: كلام موفق والله"[١٣٤].

وعندما اشتغل الترمذي بتأليف الكتب زعم أن ما كتبه ليس من فعله، قائلاً: "ما صنعت حرفاً عن تدبير، ولا ينسب إلي شيء منه، ولكن كان إذا اشتد عليَّ وقتي أتسلى به"[١٣٥]. ولما أغلظ الفقهاء عليه نقداً وتجريحاً "جمع كتبه كلها وألقاها في البحر فابتلعتها سمكة سنين ثم لفظتها وانتفع الناس بها"[١٣٦]! وهل لأحد بعدها الطعن بها بحجة المخالفة للكتاب والسنة، وها هي السمكة قد سخرها الله لتحفظ ما كتبه الرجل أو لتحفظ ما أملاه الله عليه إكراماً لها وله؟!

---

[١٣٤] ـ ص٥٠٨ ج٤ إحياء علوم الدين

[١٣٥] ـ ص٢٢ الرسالة القشيرية، ص٣٢ التعرف لمذهب أهل التصوف

[١٣٦] ـ ص١٦ ج١ الطبقات الكبرى

الكتب اللدنية مقدسة شأنها شأن القرآن بلا فرق، والشيخ البناني يقول: "كادت حِكم ابن عطاء الله أن تكون وحياً، ولو كانت الصلاة تجوز بغير القرآن لجازت بكلام الحكم"[١٣٧] وابن عجيبة بدوره يقول عن واحدة من مناجاة ابن عطاء: إن قراءتها "في وقت الأسحار وبعد صلاة الصبح لها هنالك سر عظيم وفتح جسيم. فمن لازمها في ذينك الوقتين وجد بسطاً زائداً على العادة ولها خواص وأسرار يعرفها من جربها من العباد والزهاد والطالبين لمعرفة رب العالمين"[١٣٨].

أما الشيخ أبو الحسن الشاذلي فقد زعم أنه يرى العلم عياناً في الحائط والمحبرة ويقسم على ذلك بأغلظ الأيمان وهو يقول: "والله قد تسألوني عن المسئلة ليكون لها عندي جواب فأرى الجواب مسطراً في الدواة والحصير والحائط"[١٣٩]. وهل ما يطلبه بالقسم على الحقيقة إلا تصديق آرائه وما يقوله من الأجوبة اللدنية؟!

والغزالي الذي ألف كتاب إحياء علوم الدين لإحياء "علم طريق الآخرة"[١٤٠] أو لإحياء علوم الدين الصوفي، يقول: "أحمد الله أولاً- وأستخيره تعالى ثالثاً فيما بعث عزمي من تحرير كتاب في إحياء علوم

---

[١٣٧] - ص٤ ج١ إيقاظ الهمم
[١٣٨] - ص٢٢٣ – ٢٢٤ ج٢ نفسه
[١٣٩] - ص٧٠ لطائف المنن
[١٤٠] - ص٢ ج١ إحياء علوم الدين

الدين"[١٤١]، وبالطبع فقد وافقه الله على كتابه وكذلك "أمره بعض الأرواح المجردة من سكان الملأ الأعلى بالعودة إلى وطنه "إلى طوس الفرس" وتأليف كتابه إحياء علوم الدين"[١٤٢]، ومن ثقة الغزالي بموافقة الله وبما أمرته به الملائكة جعل قراءة كتابه هذا فرض عين على المسلمين "فإن أردت – كما يقول – علم أحوال القلب فانظر إلى الإحياء وغيره من مصنفاتي وهذا العلم فرض عين وغيره فرض كفاية"[١٤٣] ولم لا إذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم نفسه قد استبشر بما حوته كتبه من علم أحوال القلب، فالشيخ أبو الفتح عامر الساوي حسب الطبقات العلية رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام، وبين يديه أصحاب المذاهب الذين منهم الشافعي وأبو حنيفة يسألونه الرأي فيهم أو فيما كتبوه. وبعد أن فرغ صلى الله عليه وسلم من أمرهم تقدم الساوي إلى الرسول صلى الله عليه وسلم وقرأ عليه كتاب "قواعد العقائد" للغزالي فسر به إلى حد دفع الساوي للقول: "فما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثر استبشاراً بقراءة أحد مثلما كان بقراءتي عليه"[١٤٤] "قواعد العقائد". فدعكم إذن من كتب الشافعي وأبو حنيفة وغيرهما من الفقهاء دعكم من فرض الكفاية إلى فرض العين وشتان بينهما!

---

[١٤١] - ص١ ج١ نفسه
[١٤٢] - ص١٤٣ الفيلسوف الغزالي
[١٤٣] - ص١٧٩ ج١ أيها الولد
[١٤٤] - ص١٩٠ الفيلسوف الغزالي

أحزاب الرفاعي هي الأخرى لدنية المصدر، فقد "صرَّح رضي الله عنه بأنه ما وضع منها حرفاً إلا بإذن من الله ورسوله"[١٤٥]، ويقول الرواس عن إحدى رسائله التي كتبها: "هذه رسالة لطيفة- سميتها "البارقة" لأنها سقطت للخاطر كالبرق الخاطف"[١٤٦]، والشيخ محمد أبو الهدى الصيادي يقول بدوره عن إحدى رسائله أيضاً: "هذه رسالة نسجها القلم، فهي بنت ليلتها من نتائج الوقت، أفيضت من ساحل بحر الكرم، سميت الحق المبين في إبهات الحاسدين"[١٤٧]. وكان الله بعون أعدائه وحساده!

وأحد المتصوفة المعاصرين الذين يعملون "بالمهنة الهندسية"!![١٤٨] ظن أن اجتماع الخرافة والوسواس مع العلم في شخصه دليلاً على تقدمية الخرافة وعلميتها حتى راح المسكين يقول: "حين أنهيت الكتاب "يقصد تحقيق كتاب الإبريز للدباغ"- رأيت في المنام رؤيا حق، **رأيت شيخنا وقدوتنا إلى الله سيدي محمد سعيد البرهاني** ومفاد الرؤية "إذنه الروحي لي بطبع الكتاب وتحقيقه"[١٤٩]. ولكن من أين له الحكم على رؤياه بالحق؟

---

[١٤٥] - ص١٣٠ قلادة الجواهر

[١٤٦] - ص١٢٠ أشرف الوسائل

[١٤٧] - ص٣٥١ نفسه

[١٤٨] - ص١٤ ج١ الإبريز

[١٤٩] - ص٢١ – ٢٢ ج١ الإبريز

أم أن شيخه ممن لا يتمثل الشيطان في صورتهم؟ ولو قال كالسوسي مثلاً أنه نام على وضوء لاحتاط للأمر نوعاً ما.

وعندما شرح ابن عجيبة الحِكم العطائية راح يحدثنا عن منهجه الدقيق قائلاً: "وجلُّ هذا الشرح الذي نقيده إنما هو مواهب لأني أكتب الحكمة ولا أدري ما أكتب فأقف مفتقراً إلى ما عند الله فإذا ورد شيء من عند الله كتبته أولاً، ثم أنظر في كتب القوم إن وجدت نقلاً غريباً موافقاً لما أفاض الله علي كتبته، وإلا تركته واكتفيت بما أتى الله، وكثيراً ما نكتب الكلام ثم نطالعه ونستغرب أني كتبته أو صدر مني، ولقد كنت في حال الرياضة والمجاهدة إذا أردت أن نتكلم في التفسير أو غيره **نشرع في الكلام ثم نغيب فكنت نحس بالكلام يخرج مني من غير اختيار كأنه السحاب فتصدر مني علوم وحكم فإذا سكت لم يبق منها إلا القلية**"[١٥٠].

ومن باب الاستطراد نقول: إنه إن تفحصنا ما يعنيه لسان الجمع الذي استخدمه ابن عجيبة في قوله عن نفسه "كثيراً ما نكتب" "ونستغرب" "أن نتكلم" "نشرع" "فكنت نحس". ثم وما الذي يعنيه قوله "كأنه السحاب" وقوله "ثم نغيب" لرأينا أن ذلك كله ليس إلا دلالة على أن ابن عجيبة لم يكن إلا واحداً من الوسطاء الروحيين الذين تهيمن عليهم الأرواح لدرجة الفناء الذي لا بد منه لهذه الظاهرة، وما السحاب كما يقول

١٥٠ - ص١٢٠ ج٢ إيقاظ الهمم

الوسطاء إلا مادة "الأكتوبلازما" التي تخرجها الروح أو الأرواح من فتحات الوسيط خاصة الأنف والفم بقصد التجسد أو للقيام بما تريده من أفعال. وما الجمع الذي استخدمه على الحقيقة ونسيانه للعلوم أو الحكم عند عودته إلى الصحو إلا الإشارة الواضحة للهيمنة الروحية التي كانت تحدث له، وأمثال هذه الظواهر مبسوطة بشكل واضح في كتب الوسطاء لمن أراد التعرف عليها وكل ما في الأمر أن المتصوفة ينسبونها خطأً إلى الله أو إلى تصديق ما تزعمه لهم هذه الأرواح، وبذلك تكون العصمة لآرائهم حسبما يعتقدون.

والشيخ عبد الغني النابلسي يقول عن شرحه لرسالة الشيخ أرسلان: "هذا شرح أمطرته سنوات إلهامي، وفاضت به عليَّ في حضرة فتحي بحار التجلي السامي، وضعته للرسالة الشريفة بل الجوهرة المنيفة التي قذف بها بحر الفيض الأقدس، في عالم الأنفس على لسان الشيخ أرسلان"[١٥١]. وفي نهاية رسالته المسماة "حكم شطح الولي" يقول: "وهذا الذي كتبناه من فيض الوارد الرحماني والفتح الرباني فمن آمن به وصدق فهو عند الله تعالى من المؤمنين الصادقين ومن جحد وأنكر فحسابه عند رب العالمين"[١٥٢]. فالشرح والمشروح كله إلهي ورسائله لدنية ربانية ولا

---

[١٥١] - ص٧٣ شروح رسالة الشيخ أرسلان

[١٥٢] - ص١٩٩ شطحات الصوفية. رسالة حكم شطح الولي

فرق بينها وبين القرآن، فمن آمن بها فله الفوز العظيم ومن أنكرها فسوء العاقبة ونار الجحيم فسلِّم تسلم!

أما الشعراني فلا مناص لسذاجته من الظهور دوماً حيث يقول: "إن صاحب الكشف من شأنه أن يتكلم على الأمور من حيث ما هي عليه في نفسها فلا يخطئ"[١٥٣]، ومن ثم يقول عن رسالته "الأنوار القدسية في بيان آداب العبودية" التي أتاه حتى عنوانها "على لسان هاتف والخطيب على المنبر يوم الجمعة"[١٥٤]، يقول: "واعلم أن جميع ما أضعه فيها بإرادة الله تعالى في هذه الرسالة ابن وقته ليس بفكر ولا نظر. وكل وقت له كلام جديد غير الآخر، لأنه ليس بنقل حتى يرجع إليه فرحم الله امرءاً رأى فيها شيئاً يخالف ظاهر الكتاب والسنة وأصلحه"[١٥٥]. فصاحب الكشف هنا كما نراه يعترف بإمكانية الخطأ اللدني بحق القرآن والسنة بعد أن زعم استحالة الخطأ على صاحب الكشف لأنه لا ينطق إلا حقاً!

ومن أجل الحصول على التصديق الموضوع لزعم اللدنيات راح المسكين يقول: "كان يرد علي الكلام من الحكمة في الليل فأكتبه فإذا جاء – الشيخ أبو الفضل الأحمدي – عرضته عليه، فيخرج لي ورقة من عمامته ويقول: وأنا الآخر وقع لي ذلك، فنقابل الكلام على الآخر فلا يزيد

[١٥٣] - ص٢٤ ج١ ف٤ اليواقيت والجواهر
[١٥٤] - ص٩ – ١٠ ج١ الأنوار القدسية
[١٥٥] - ص١٤ – ١٥ نفسه

أحدهما على الآخر حرفاً"[156]. وعلى ما يبدو ان الشيخ أبا الفضل كان يستخدم التخاطر لنقل أفكاره للشعراني تلاعباً منه لينسبها إلى الله أو أن كلاهما كانا خاضعان لهيمنة روح واحد والله أعلم.

وليست خوارق الشعراني في كتبه وتأليفها فقط، وإنما رافقته أيضاً في قراءته للكتب ففي كتابه "اليواقيت والجواهر" يقول: "وقد ألفته بحمد الله في دون شهر، وطالعت الفتوحات على عدد مباحثه. وما ذلك إلا من الكرامات. فإن الفتوحات عشر مجلدات ضخمة، فعلى ذلك الحساب قد طالعت في كل يوم الفتوحات مرتين ونصف"[157] إلا أن المتأمل عبر كتبه عن قراءته للفتوحات لابن عربي سيراه من أسوء القراء فهماً وتعبيراً إن لم يكن تحريفاً وتخريفاً.

أما الشيخ عبد الكريم الجيلاني فيقول عن كتابه "الإنسان الكامل": "وكنت قد أسست الكتاب على الكشف الصريح. فأمرني الحق الآن بإبرازه بين تصريحه وإلغازه ووعدني بعموم الانتفاع. فقلت: طوعاً للآمر المطاع"[158]، ويقول أيضاً: "فأكثر ما وضعته في كتابي هذا لم يضعه أحد قبلي في كتاب فيما أعلم ولا سمعته من أحد من خطاب فيما أفهم، بل أعطاني العلم بذلك بشهوده بالعين التي لا يحجب عنها شيء في

---

[156] - ص١٧٣ ج٢ الطبقات الكبرى

[157] - ص٢٠١ ج٢ م٧١ اليواقيت والجواهر

[158] - مقدمة الإنسان الكامل في معرفة الأواخر والأوائل، ص٥٠ الفكر الصوفي عند عبد الكريم الجيلي

الأرض ولا في السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين"[١٥٩]. فعن اللوح المحفوظ كان كتابه وبأمر إلهي أبرزه للخلق بعد أن ضمن الله عز وجل له انتفاع البشر به أو بهذا الكتاب الذي فاق كل كتاب قبله على الإطلاق، الذي "لم يأتِ يمثله الزمان ولم يسمح بشكله الأوان"[١٦٠]، "وما أعلم أحداً من قبلي أذن له أن ينبه على أسرار نبهت عليها في هذا الباب إلا أنا، فقد أمرت بذلك ومن هذا القبيل أكثر الكتاب"[١٦١].

أما الوسطاء الروحيون فما أكثر زعمهم للكتب الروحية أو اللدنية بالمصطلح الصوفي، فالوسيطة "مدام غيون" مثلاً من الذين كتبوا أطول مؤلفاتهم بيوم ونص اليوم"[١٦٢]، وما أكثر الوسطاء الذين نقلوا كتبهم عن ألواح عرضت أمامهم فارجع إن شئت إلى كتبهم.

[١٥٩] - ص٤٥ ج١ بـ١٦ الإنسان الكامل في معرفة الأواخر والأوائل
[١٦٠] - ص٨٠ ج١ بـ٤١ نفسه
[١٦١] - ص٥١ ج١ بـ٢٠ نفسه
[١٦٢] - ص٤١ فلسفة التصوف قدرات وطاقات

## ـ ابن عربي وكتبه الإلهية:

لقد اتبع ابن عربي هو الآخر سنة القوم في انتساب كتبه بالمصدر الإلهي، فعن كتابه "فصوص الحكم" يقول: "فإني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في مبشرة أريتها ـ وبيده صلى الله عليه وسلم كتاب فقال لي: هذا "كتاب فصوص الحكم" خذه واخرج به إلى الناس ينتفعون به، فقلت: السمع والطاعة لله ولرسوله، وأولي الأمر منا كما أمرنا. فحققت الأمنية وأخلصت النية وجردت القصد والهمة إلى إبراز هذا الكتاب كما حدَّه لي رسول الله صلى الله عليه وسلم من غير زيادة ولا نقصان"[١٦٣]، "فما ألقي إلا ما يلقى إليَّ ولا أنزل في هذا المسطور إلا ما ينزل به علي، ولست نبي رسول ولكني وارث ولآخرتي حارث:

*"فمـــــــــــن الله فاســـــــــــمعوا وإلــــــــــى الله فــــــــارجعوا"* [١٦٤]

وعن كتابه "التدبيرات الإلهية" يقول: "ألفنا كتاباً روحانياً وإنشاءً ربانياً سميناه بالتدبيرات الإلهية في إصلاح الملكة الإنسانية"[١٦٥] ويقول عن كتابه "لطائف الأسرار": "إنه ملهم من الله"[١٦٦]، وعن كتابه "عنقاء مغرب" يقول: "بعث إلي سبحانه رسول الإلهام وهو نائب جبريل ـ

---

١٦٣ ـ ص٤٧ ج١ فصوص الحكم
١٦٤ ـ ص٤٨ نفسه
١٦٥ ـ ص١٧ الروحية عند محيي الدين ابن عربي
١٦٦ ـ ص١٩ نفسه

يأمرني بوضع هذا الكتاب المكنون وإن رسول الإلهام هذا هو الذي اختار له اسم الكتاب"[167]، وكذلك رأى كتابه وقد تجسد ليقول بعدها: "فرأيته مسبحاً ومهللاً ومكبراً وملبياً، فعرفت أن ذلك الشخص جسمانية هذا الكتاب الذي أنزله الحق عليَّ وأبرزه لعباده على يدي"[168]، وعن كتابه "مواقع النجوم" يقول: "وما جعلني أعرِّفك بمنزلته إلا أني رأيت الحق في المنام مرتين وهو يقول لي: انصح عبادي- وليس لنا من الأمر شيء"[169]، فقد أرسل إلي سبحانه رسول إلهامه مؤيداً ثم أردفه بما أوحى به للابن التقي – يقصد نفسه – في منامه فوافق المنام الإلهام ونظم عقد هذا الكتاب أبدع نظام- فأنا في هذا المجموع وغيره أتلقى من المَلك ما يرد به علي المَلكْ"[170]، ويقول أيضاً في شأن كتابه هذا: "وما جعلني أعرفك بمنزلته إلا أني رأيت الحق في النوم مرتين وهو يقول لي: انصح عبادي"[171]، وعن أحد أبوابه يقول: "واتفق لي- أني كنت مشغولاً بتأليف كتاب إلقائي فقيل لي: اكتب! هذا باب يدق وصفه ويمنع كشفه، ثم لم أعرف ما أكتب بعده وبقيت أنتظر الإلقاء حتى انحرف مزاجي وكدت أهلك فنصب قدامي لوح نوري وفيه أسطر لحضرة نورية فيها مكتوب:

[167] - ص١٨ نفسه

[168] - ص٢٦٠ نفسه

[169] - ص٢ مواقع النجوم

[170] - ص٥ – ٦ نفسه

[171] - ص٣٣٤ ج١ بـ٦٨ الفتوحات المكية

هذا باب يدق وصفه ويمنع كشفه. والكلام على الباب فقيدته إلى آخره ثم رفع عني"[١٧٢]. ثم أنشد طرباً ليقول:

*"قلمي ولوحي في الوجود تمده — قلم الإله ولوحه المحفوظ*
*ويدي يمين الله في ملكوته — ما شئت أجري والرسوم خطوط"*[١٧٣]

وفي خاتمة الكتاب يقول: "انتهى الإلقاء الإلهي والإلهام الرباني الروحاني"[١٧٤].

ويقول في مقدمة كتابه "الحكمة الإلهية": "أنه بعد أن بدأ في تصنيفه مرض بوجع في دماغه وضعف في ذهنه، ولكنه استفاد من هذا المرض استفادة عظيمة لأنه لم يسمح له بالتفكير في هذه المسائل الطبيعية والميتافيزيقية فألهمه الله حلها دون تفكير ولا تأمل ولا نظر"[١٧٥]، وعن كتابه "إنشاء الدوائر" يقول: إنه "الأمر الإلهي الذي ورد علينا في تقييده"[١٧٦]. وما الذي سيقوله ابن عربي عن كتابه الضخم "الفتوحات المكية"؟ يقول: فشغلنا – أي عملنا أو ألفنا – هذا الكتاب- بسبب الأمر

---

١٧٢ - ص٦٥ مواقع النجوم
١٧٣ - ص٧٤ نفسه
١٧٤ - ص١٨٧ نفسه
١٧٥ - ص٨٥ ابن عربي حياته ومذهبه
١٧٦ - ص٥٦ نفسه

الإلهي الذي ورد علينا في تقييده"[١٧٧]، "فليس من علوم الفكر هذا الكتاب وإنما هو من علوم التلقي والتدلي فلا يحتاج فيه إلى ميزان آخر"[١٧٨] يوزن به كموازين الشرع والعقل أو سواهما، "والله سبحانه قد أمرني على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم بالنصيحة لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم خطاباً عاماً ثم خاطبني على الخصوص من غير واسطة غيرة بمكة وبدمشق فقال لي: انصح عبادي في مبشرة أريتها"[١٧٩]. وذات مرة شاهد ربه ومحمد صلى الله عليه وسلم بين يديه، وبذلك يقول: "فالتفت السيد الأعلى – أي الله -. فرآني وراء الختم "أي على سنته لا أمامه" لاشتراك بيني وبينه في الحكم "أو ختم الولاية" فقال له السيد "أي لمحمد": هذا عديلك "أي مثلك مساواة بالختم" وابنك وخليلك، انصب له منبر الطرفاء بين يدي، ثم أشار "محمد صلى الله عليه وسلم" إلي أن قم يا محمد "ابن عربي" عليه، فأثني على من أرسلني وعليَّ، فإن فيك شعرة مني لا صبر لها عني هي السلطانة في ذاتيتك-. هذا هو المقام المحمدي الأطهر، من رقي فيه فقد ورثه وأرسله الحق حافظاً لحرمة الشريعة وبعثه، ووهبت في ذلك الوقت مواهب الحكم، حتى كأني أوتيت جوامع الكلم".[١٨٠]

---

١٧٧ - ص٩٨ ج١ بـ٤ الفتوحات المكية

١٧٨ - ص١٧١ ج١ بـ٢١ نفسه

١٧٩ - ص٦٥٨ ج١ بـ٧١ نفسه

١٨٠ - ص٣ ج١ نفسه

وعلى كل حال فإن كل ما أراد قوله في رؤياه هذه أنه تابع لمحمد صلى الله عليه وسلم وعلى سنته يسير في تحصيل العلوم، فهو مثله في الختم فإذا كان محمد خاتم الأنبياء فابن عربي خاتم الأولياء وفق شهادة الحق نفسه، فمحمد هو الذي نصب له المنبر بين يدي الله وذكَّره بموافقة الاسم بينهما وأمره بالثناء على الله ورسوله، ومن حينها أصبح كأنه أوتي جوامع الكلم تماماً كمحمد الذي أوتي جوامع الكلم، وكتابه على هذه الأسس يستحيل أن يحوي شيئاً فيه معارضه لله ولرسوله وأنى يكون ذلك وهو المرسل للحفاظ على الدين وإقامة الشريعة؟ واعلم أيضاً كما يقول أن "الأغلب فيما أودعت هذه الرسالة ما فتح الله به علي عند طوافي بيته المكرم أو قعودي مراقباً له بحرمه الشريف المعظم"[١٨١]، وإذ بنيت كتابي هذا بل بناه الله لا أنا على إفادة الخلق فكله فتح من الله تعالى. لأنه لا يقتضي حالنا إلا إبلاغ ما أمر الحق بإبلاغه ويفعل الله ما يشاء"[١٨٢]، وليس هذا فحسب بل إن الله سبحانه وتعالى هو الذي يحدد له المواضيع التي عليه القيام ببحثها أو تثبيتها، وفي ذلك يقول: "واعلموا أن الله تعالى اطلعني في ليلة تقييدي هذا الباب على أمر لم يكن عندي في واقعة وقعت لي برزخية قيل لي فيها: ألم تسمع أن الدنيا أم رقوب؟ فقلت: نعم، فقيل

[١٨١] - ص٩ نفسه
[١٨٢] - ص٧٤ ج٤ بـ٤٦١ نفسه

لي: فاجعل لها فصلاً في هذا الباب"[١٨٣]. بل وترتيب أبواب الكتاب وفصوله أيضاً من لدن العليم الخبير سبحانه وتعالى، وفي ذلك يقول: "وكان الأولى تقديم هذا الباب في أول العبادات قبل الشروع فيها، ولكن هكذا وقع فإنا ما قصدنا هذا الترتيب عن اختيار ولو كان عن نظر فكري لم يكن هذا موضعه في ترتيب الحكمة. فالله رتب على يدنا هذا الترتيب فتركناه ولم ندخل فيه برأينا ولا بعقولنا"[١٨٤].

والشعر الموجود في كتابه هو الآخر شعر لدني من الله، وها هو يقول: "منظوم نظمته إلهي لا عن روية ولا تعمد"[١٨٥] وقد "جاءت هذه الأبيات من غير قصد، وكذلك أمثالها، فإنما أنطق بما يجريه الله فينا من غير تعمل ولا روية"[١٨٦]، وكذلك مؤلفاته في السحر وعلم الحروف ينسبها هي الأخرى إلى الله قائلاً: "فعلته عن أمر ربي الذي عهدته فلا أتكلم إلا على طريق الإذن. وقد أذن لي في تقييدي ما ألقيته"[١٨٧].

إنه الله إذن هو الذي يرسل إليه ما يجب نقله إلى كتابه، وفي ذلك يقول: "إنه ليلة تقييدي هذا الوجه أريت في النوم ورقة زنجارية اللون جاءت إلي من الحق مكتوبة ظهراً وبطناً بخط خفي لا يظهر لكل أحد،

---

١٨٣ - ص٢٠٩ ج٢ بـ١٢٦ نفسه
١٨٤ - ص١٦٣ ج٢ بـ٨٨ نفسه
١٨٥ - ص٤٨٨ ج٣ بـ٣٧٨ نفسه
١٨٦ - ص٢١٦ ج٢ بـ١٣٢ نفسه
١٨٧ - ص٥٩ ج١ بـ٢ نفسه

فقرأته في النوم لضوء القمر، فكان فيه نظماً ونثراً."[188]، وعند حديثه عن الدورة الكونية يقول: "فما سكت روعي إلا كون الكلمات من ذهب وفضة"[189].

والأرواح أو الملائكة هي الأخرى تأتيه لتزوده بالعلم:

*"وقد علمت بأن الحق أيدني فيما أفوه به عنه وقيدني*
*به فلا تبرح الأرواح تنزل بي على الدوام وتهواني فتقصدني"*[190]

ويقول أيضاً: "فأخبرني الروح الذي أخذت منه ما أودعته في هذا الكتاب"[191] كذا وكذا. وقد حدثنا ابن عربي أيضاً عن قرينه الذي يستفيد منه العلم وهو المسمى بدر الحبشي قائلاً: "وأما رفيقي فضياء خالص ونور صرف حبشي اسمه عبد الله بدر لا يلحقه خسف. عبد الله بدر الحبشي اليمني"[192]. وهذا الروح المسمى بدر كان له عليه هيمنة عظيمة، فقد "فُطر على أن لا يكلم أحداً إلا رمزاً وغلبني في الحين عليَّ، فعندما أفقت من الغشية وأرعدت فرائصي من الخشية. فتلى حاله علي ما جاءت به الأنبياء وتنزلت به الملائكة الأمناء"[193]. وبذلك كان له مخطط وحدة الوجود التي نثرها على طول وعرض كتابه الفتوحات.

---

[188] - ص٢٩٢ ج٤ بـ٥٥٨ نفسه. حضرة القيومية
[189] - ص١٦٧ الروحية عند محيي الدين ابن عربي
[190] - ص٤٨٦ ج٣ بـ٣٧٨ الفتوحات االمكية
[191] - ص١٥٣ ج١ بـ١٥ نفسه
[192] - ص٩ ج١ نفسه
[193] - ص٤٨ ج١ بـ١ نفسه

كتاب الفتوحات إذن إلهي وعلم لدني وهكذا أصبح برأيه مساوياً للقرآن الكريم "فالعلم الإلهي – حسبما يقول – هو الذي كان الله سبحانه معلمه "لرسوله صلى الله عليه وسلم" بالإلهام والإلقاء وبإنزال الروح الأمين على قلبه، وهذا الكتاب "يقصد الفتوحات المكية" من ذلك النمط عندنا فوالله ما كتبت منه حرفاً إلا عن إملاء إلهي وإلقاء رباني أو نفث روحاني في روح كياني-. فالتنزيل "القرآني" لا ينتهي بل هو دائم دنيا وآخرة:

*"الله أنشأ من طي وخولان جسمي فعدَّلني خلقاً وسواني*
*وأنشأ الحق لي روحاً مطهرة فليس بنيان غيري مثل بنياني*
*إني لأعرف روحاً كان ينزل بي من فوق سبع سموات بفرقان"* [194]

أي: لاختلافه عن البشر بجسده وروحه، كان الروح ينزل عليه بالفرقان كما نزل الفرقان على محمد صلى الله عليه وسلم!!

[194] - ص٤٥٦ ج٣ بـ١٧٣ نفسه

**ـ كلمات بين السطور:**

ومما مرَّ معنا نرى أن السمات العقائدية للصوفي مبنية على مضاهأة النبوة بكل ما اتصل بها من نتائج وسمات، فكما أن القرآن من لدن الله للنبي كذلك هي كتب المتصوفة لا عن تدبر وروية ولا إعمال فكر في تأليفها، فهم مأمورون بتدوينها لمنفعة الخلق، فسبحانه هو المؤلف الحقيقي لهذه الكتب بما اشتملت عليه من معارف طبيعية وسماوية غير طبيعية، بما فيها من شعر بما فيها من علوم السحر والحروف والطلسمات، بل إن الله نفسه يرتب لهم الفصول والأبواب وهو الشارح لما كتبه المشايخ سواء كان حِكماً ووصايا أو أفكاراً فلسفية وإلى ما هنالك.

وإن بحثت عما يقصده الصوفي من أغراض تختفي خلف هذه المزاعم فسوف تراه ساعياً لتقديس الذين ألفوا هذه الكتب، أو إلى تقديس هذه الكتب. والأولياء عندها كالأنبياء وكتبهم كالقرآن، وبذلك كله تكون الغلبة لهم على المذاهب الإسلامية الأخرى أو على المنهج الفقهي أو العقلي، ولهذه الأغراض كان استخدامهم لرؤيا الرسول صلى الله عليه وسلم لأنها وفق المأثور معصومة عن الشيطان، فالرسول يُسر بالغزالي وبكتبه المليئة بالأحاديث الضعيفة والموضوعة، وإن الله يساوي بين رسوله محمد صلى الله عليه وسلم وبين ابن عربي، بل إن الله والرسول

قد رضيا عن كتبه بما فيها من خروج على كتاب الله وسوء أدب على رسوله صلى الله عليه وسلم.

وإذا ما كانت كل كتبهم لدنية فإنها عند المريدين أو المؤمنين بعصمتها سترقى فوق الشبهات والنقد وفوق كل ما يمكن استخدامه من المعايير العقلية والإسلامية وهي بهذا ستصبح أفضل ألف مرة من كل الكتب الأخرى.

وربطاً للمريد بهذه المعاني كان لهم أن جعلوا قراءته لكتبهم فرض عين كما منعوه عن كل قراءة غير صوفية بما فيها كتب المفسرين والمحدثين والفقهاء والفلاسفة، وعندها لا بد للأسير الذي أغلقت دون عقله النوافذ والأبواب أن يصدق لدنية هذه الكتب التي لا علاقة لها بالكسب حسب زعمهم، ولو كان للمسكين إلماماً بسيطاً بالفلسفة أو بفلسفة الغنوص على الأُقل التي كانت منتشرة في كل المعابد الهندوسية والزرادشتية وعند اليونان وغير ذلك كثير لما انخدع بهم وصدق مزاعمهم، وبهذا كله انطلت على المريد أكذوبة اللدنية والمصدر الإلهي لكتبهم.

فليس للمريد الاطلاع على كتب الآخرين والتعرف إلى آرائهم فذاك حجاب! ومن أراد الوصول فعليه بلدنيات القوم ابتداء من الأحزاب نهاية بالحِكم مروراً بالأوراد والمناجاة. وهل للمريد من غاية إلا الوصول؟

فعليكم بكتب الله التي أرسلها للأولياء تلك الكتب التي شهد رسوله صلى الله عليه وسلم بصحتها!

وعن طبيعة المنهج نرى على سبيل المثال أن ابن عربي الذي أخذ آرائه عن فلاسفة اليونان الغنوصيين التي انتشرت في الاسكندرية وحران وعند فرق الغلاة المعارضة للإسلام وصولاً إلى الفارابي وابن سينا وأمثالهما، وهذا ما يدركه أبسط الذين لهم إلمام ثقافي في الفلسفة أو تاريخ الفرق الإسلامية، وبالأكاذيب والأنانية نسب ابن عربي كل ما في كتبه "إلى نفسه وبذلك خدع قارئوه الذين لم يقرأوا غير كتبه"[١٩٥].

ولو أراد منا ابن عربي أن نصدق زعمه بلدنية كتبه، فعليها على الأقل أن يكون ما فيها من العلوم صحيحاً دون خطأ أو مما ينفع الناس على الأقل، والمؤسف أن ضررها على الناس أعظم من نفعها بما حوته من تخاريف وشعوذة وأكاذيب وأخطاء يستحيل نسبتها إلى الله والملائكة أو إلى أي مصدر شريف ذا علم.

ولكن ما حقيقة اللدنية المزعومة في كتب القوم؟ الحقيقة أن الصوفي وسيط روحي دون زيادة أو نقصان، وبهذه الوساطة كان له الكتابة التلقائية بواسطة الأرواح كما كان له التخاطر ونقل الأفكار معهم وهم مصدر ما زعمه من كتب وألواح وأوراد، وكل الوسطاء الروحيون قد

---

[١٩٥] - ص٤٥٥ الروحية عند محيي الدين ابن عربي

صرحوا بحدوث هذه الظواهر لهم، كما صرحوا علناً بقدرة الأرواح على تضليل الوسطاء كذباً واستهزاءً أو زعماً للألوهية الملائكية وإلى ما هنالك.

أما ابن خلدون ولما نظر بعقله في كتب القوم اللدنية التي عمادها التخريف والهلوسات والمزاعم المكذوبة والمأثور الغنوصي العقيم، قال بفتواه الواردة في كتابه "العلم الشامخ في إيثار الحق على الآباء والمشايخ": "الحكم في هذه الكتب وأمثالها إذهاب أعيانها متى وجدت بالتحريق بالنار والغسل بالماء حتى ينمحي أثر الكتابة لما في ذلك من المصلحة العامة في الدين، ويتعين على من كانت عنده التمكين منها للإحراق وإلا فينتزعها منه ولي الأمر ويؤدبه على معارضته في منعها"[١٩٦].

ملاحظة: أولياء التصوف لا المريدين قد شكوا في حفظ القرآن وطعنوه بالزيادة والنقصان وأخطاء الترجمة وضياع المراد الإلهي، ومن أجل هذا تخلوا عنه وعما فيه ببدائلهم التي منها ما نزل عليهم من قرآن وحِكم وكتب وأحزاب وصحف وأوراد، وبما كان لهم من الوصول إلى الله أو حلوله فيهم حسب مزاعمهم للأخذ عنه، أو بوصولهم إلى اللوح المحفوظ والقرآن الأم. بهذا كله كان لهم الغنى عن قرآن الدفتين، وبهذا

---

[١٩٦] - ص١٥٦ ابن سبعين وفلسفته الصوفية

أصبح أهل التصوف غير كتابيين أي خارج دائرة الأديان السماوية، ليمثلوا نبوة الاجتهاد الصاعدة بالجهد من الأرض نحو مجاهيل السماء، ليعودوا إلى الغنوص أصل ديانتهم بما له من عقائد مختلفة عن كل عقائد الأنبياء، وإن استمروا في التلطي بالإسلام فلا بد لهم من تحريف القرآن بالتأويل ليجعلوه ناطقاً بتوحيد الغنوص أو بشذوذ عقائدهم.

**ـ التأويل والتصوف:**

تمهيد: لقد عرف الإنسان التأويل منذ القدم ومذ وجد الخلاف بين البشر، مذ وجد الكذاب وشاهد الزور والطماع، هؤلاء وأمثالهم هم المسؤولون عن انحراف الكلام عن معناه المقصود لصالح أغراضهم وغاياتهم وأطماعهم، وبمجيء عصر التدويم بما فيه من مدونات مقدسة للشعر والأساطير والتأريخ انبرى الذين اختلفوا مع ما يعنيه مضمونها لتحريف معناها بالكذب والبهتان والخداع لتصبح ناطقة بأهوائهم وما يصبون إليه من استغلال وأغراض، ومن أجل مواراة سبل العدوان الممقوتة هذه كان نعتها بالتأويل المعبِّر عن الشطارة والدهاء وحسن التدبير وبهذا كان موضوع تأويلهم الأول متمثلاً بتأويل العدوان وانحراف معناه ليكون ناطقاً بفضيلتي الجرأة وحسن الذكاء. ومن شهرة أشعار هوميروس مثلاً انطلق القراصنة بما لديهم من سبل التأويل أو التحريف لجعلها كالقالب المجرد الذي له استيعاب كل المعاني المقترحة التي لديهم، وبهذا أصبح هوميروس "أرسطاليسياً ورواقياً وأبيقورياً في آن واحد"[١٩٧]، و"فيلون" اليهودي المتوفى في القرن الأول الميلادي شهير في تأويلاته حيث قرأ التوراة بالتأويل قراءة فلسفية حتى أصبح لا قيمة لها برأيه إلا بما ترمز إليه، وبذلك أصبح آدم عنده مثالاً للعقل الأول، وحواء رمزاً للإحساس والجنة رمزاً للشهوة ونوح رمزاً للعدالة والطوفان رمزاً

---

[١٩٧] ـ ص٢٢٢ من الفلسفة اليونانية إلى الفلسفة الإسلامية

للتطهير. وهكذا لم تعد التوراة في نظره إلا رموزاً ملأها بفلسفته أو كالقالب المجرد الذي له احتواء كل أهواء المؤوِّل. وبالتأويل أيضاً يتم التوفيق بين الفلسفة والدين أو بين الأديان، والمحاولات في هذا الشأن كثيرة عند الفلاسفة ابتداء من "أمونيوس سكاس" المولود قبل الميلاد نهاية بالفارابي مروراً بيحيى النحوي وأصطفن الاسكندري اللذان حاولا التوفيق بين المسيحية والفلسفة الطاغية في أيامهما. والمريد حسب تعريفه عند ابن عربي عن شيخه أبي مدين هو الذي يجد في القرآن كل ما يريد، وعندها بالطبع لا بد من الخلاف بين القرآن وما يعنيه وبين أغراض قرآن التأويل ومعناه، والدكتور عفيفي يقول: لكن "من المستحيل أن يكون "قرآن التأويل" هو القرآن الذي نفهمه"[١٩٨].

وبالنتيجة نقول أينما وجد التأويل بالأهواء فهو الدلالة على عدم التوافق بين المؤوَّل وهذه الأهواء.

[١٩٨] - ص٢٦ فلسفة التأويل

**- المحكم والمتشابه في القرآن:**

يقول الله تعالى: "**منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات وأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا**".

فآيات القرآن نوعان: محكم ومتشابه، والمحكم حسب العلماء هو ما كان موضوعه الأوامر والنواهي والتكاليف وكل ما له علاقة بالجانب العملي، إضافة إلى الجانب العقائدي المتمثل بتوحيد لا إله إلا الله محمد رسول الله، والخلق من العدم ووجود الفرق بين الخالق والمخلوق والاعتقاد بالبعث والحساب ووجود الجنة والنار. إن هذا المحكم بشقيه العقائدي والعملي لا تأويل له.

أما المتشابه فهو الغامض الذي لا إدراك لمعناه أو للمقصود منه على وجه اليقين إلا بالتأويل المشروط بالإدراك المعني بالرسوخ العلمي "وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم" ومثاله كل الآيات التي تحدثت عما يسمى في زماننا بالإشارات العلمية التي على عاتقها كان وجود البرهان المستمر على انتساب القرآن إلى الله عز وجل مصداق قوله تعالى: "**سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق**".

ومن الملاحظ أن رجال التأويل نوعان، الأول: الراسخون في العلم، ولا تأويل لديهم إلا بالرسوخ العلمي، وما لم ينله الرسوخ استمروا على إيمانهم بأنه حق ينتظر وصولنا لرسوخ آخر، وتأويلاتهم دائماً على توافق مع المحكم من الآيات. الثاني: هم أهل الزيغ ودعاة الفتنة الذين يؤولون المتشابه والمحكم لصالح أهوائهم دونما التزام بالرسوخ العلمي وحكم المحكم الذي لا يجب مخالفته بتأويل وبغير تأويل، أما من أوَّل المحكم كتأويل الجنة بالكشف والنار بالحجاب مثلاً فهذا اعتداء على المحكم وما هو بالتأويل.

التأويل الصحيح إذن مقيد بالإدراك أو الرسوخ العلمي أي بمطابقة خبر المتشابه مع الموضوع المدرك المشار إليه من الجميع، ومن حيث أن العلم متطور باستمرار فهذا معناه أنه لا تأويل لكل المتشابه لرجل فرد أو لمرحلة من المراحل العلمية وطالما أن الإدراك مستمراً مع الإنسان لما بعد الموت، وبإدراك ما بعد الموت لمن كان له عن طريق الخبر يكون إحكام ما كان متشابهاً لديه وبهذا يقول سبحانه وتعالى: "**هل ينظرون إلا تأويله يوم يأتي تأويله**" "**بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتيهم تأويله**" أي مع استمرار الإدراك عن طريق الرسوخ والتطابق سيكون الحكم الأخير بأن كل القرآن محكم لا متشابه فيه "**ألر كتاب أحكمت آياته ثم فصلت**" والإحكام المطلق من جهة أخرى لكل القرآن في الدنيا هو

الذي يسمى بالإحكام عن طريق العبرة أو بالنواة التي تعني العمل الصالح، ومن حيث ارتباط المتشابه بالإيمان فهو محكم كله بهذا من غير شك، ومن قوله تعالى "**كتاب أنزلناه إليك مبارك**" فكله محكم بالبركة لا فرق في هذا بين محكم ومتشابه.

فالتأويل بناءً على ذلك محكوم بما يلي من المبادئ:

١ – المتشابه والمحكم موجودان في القرآن ولا تعارض بين إحكام المتشابه وبين المحكم، ولا تأويل إلا للمتشابه دون المحكم.

٢ – ليس لأحد ولا لمرحلة علمية إحكام كل المتشابه أو تأويله.

٣ – إحكام المتشابه مرتبط بالإدراك المستمر وصولاً إلى الفصل والقرار الذي لا متشابه بعده.

٤ – المتشابه أو بعضه برهان على صدق انتساب القرآن إلى الله وعلى صدق نبوة محمد صلى الله عليه وسلم.

٥ – كل الآيات أمام الحكمة أو العبرة أو البركة والسلوك محكمة.

٦ – القرآن كلام الله وهو المحفوظ من التحريف وفيه البيان والهدى ولا وجود فيه لمشكل غير مفهوم أمام الإدراك المطلق.

## ـ معنى التأويل في التصوف:

التأويل وفق المعلوم هو ما يؤول إليه الكلام، ويؤول إلى حقيقته التي عين المقصود به"[١٩٩]. وأما المتصوفة فقد قرروا أن لا مآل للمتشابه إلا في الباطن، وعلم الباطن عندهم "يدعى علم التأويل"[٢٠٠] والظاهر كله هو المتشابه وابن عربي يقول: "فما في الكون كلام لا يتأول-. والتأويل عبارة عما يؤول إليه ذلك الحديث"[٢٠١]. فالتأويل إذن شامل ولا فصل في الآيات بين محكم ومتشابه وإذا كان قرآن الدفتين مثلاً من الكلمات القرآنية الظاهرة فالتأويل عندها هو عبور من كلمات اللغة أو اللغة البشرية أو المترجمة إلى اللغة الإلهية أو الفهم، فالتأويل كما يقول "من عبرت الوادي إذا جزته وقال تعالى: فاعتبروا يا أولي الأبصار أي جوزوا مما رأيتموه من الصور بأبصاركم إلى ما تعطيه تلك الصور من المعاني والأرواح في بواطنكم فتدركونها ببصائركم"[٢٠٢].

فالباطن إذن هو المحكم وبالكشف يكون الإحكام لا بغيره، والإحكام أو التأويل عبور من الظاهر أو الإدراك الظاهري إلى الباطن أو الإدراك الباطني، وهكذا أصبحت العبرة عند ابن عربي تعني العبور والعبور يعني التأويل وما من كلام إلا وله التأويل ولو كان المقصود هو الظاهر

---

[١٩٩] ـ ص١٩ ج٢ الإكليل. مجموعة الرسائل الكبرى

[٢٠٠] ـ ص٥ شروح رسالة الشيخ أرسلان

[٢٠١] ـ ص٤٥٢ ج٣ بـ٣٧ الفتوحات المكية

[٢٠٢] ـ ص٥٥١ ج١ بـ٧٠ نفسه

كما يقول الغزالي "لما اختلف الناس فيه"[٢٠٣]. فالقصد الإلهي على الحقيقة برأيه لا وجود له إلا في الباطن أو في "المطلع" الذي فيه مآل المعنى الحقيقي.

آيات القرآن ذات مراتب أربعة فقد "اتفق الصوفية على أنه ما من آية إلا ولها أربعة معان: ظاهر وباطن وحد ومطلع"[٢٠٤]، وهو قول نسبه السلمي والشعراني إلى الإمام علي رضي الله عنه"[٢٠٥] ونسبه السكندري"[٢٠٦]، "وابن عجيبة"[٢٠٧] و"الغزالي"[٢٠٨]، وغير هؤلاء كثر إلى محمد صلى الله عليه وسلم، ولا وصول إلى المطلع إلا "لأرباب الكشف أو التحقيق"[٢٠٩] أي: "بإشراف القلب كما يقول سهل على المراد"[٢١٠]، ورجال المطلع عند ابن عربي يعرفون باعتقادهم بوحدة الوجود، حتى أن المطلع عنده هو الوصول إلى "الثبات في التنوع"[٢١١] أو إلى وحدة الكثير أو الواحد الكثير، أما الغزالي الذي جاهد كثيراً لاحتواء أحوال المتصوفة الغريبة عن طبيعة الإسلام، ومن أجل احتواء كل تأويلات أهل التصوف روى أن بعض العلماء قد قال: إن "لكل آية ستون ألف فهم وما بقي من

---

٢٠٣ - ص٢٨٥ ج١ إحياء علوم الدين
٢٠٤ - ص٤١٦ – ٤١٧ الصلة بين التصوف والتشيع
٢٠٥ - ص٢٤٣ ج٢ الفتح الإلهي
٢٠٦ - ص١٦٥ لطائف المنن
٢٠٧ - ص١١١ ج٢ إيقاظ الهمم
٢٠٨ - ص٢٨٩ ج١ إحياء علوم الدين
٢٠٩ - ص٢٤٣ ج٢ الفتح الإلهي
٢١٠ - ص٩٨ من التراث الصوفي
٢١١ - ص٢٩١ فلسفة التأويل

فهمها أكثر. وقال آخرون: القرآن يحوي سبعة وسبعون ألف علم ومائتي علم إذ كل كلمة علم. ثم يتضاعف ذلك إلى أربعة أضعاف إذ لكل كلمة ظاهر وباطن وحد ومطلع"[٢١٢]. وهكذا أصبح الصوفي مهما كان فهمه أو تأويله للقرآن لا بد أن يندرج في رتبة من هذه المراتب اللامحدودة العرفان!

ومن تمعَّن في ذلك كله سيرى بالطبع الاختلاف الواضح ما بين المبادئ القرآنية وطبيعة التأويل الصوفي، فليس في التصوف من آيات في القرآن اشتبه على الخلق معناها وأخرى واضحة أو محكمة لا تحتاج إلى تأويل وإنما كل القرآن متشابه وإحكامه يكون بتجاوز ظاهره نحو الباطن المشروط بوحدة الوجود.

وللتوضيح والمقارنة نرى ما يلي:

١ – المتشابه من علم الله ولا أحد يعلمه كما يقول المتصوفة إلا بإعلام إلهي والراسخ في العلم هو الذي له الكشف والعيان أو الوصول إلى الله لأخذ العلم عنه.

٢ – التأويل ليس إحكاماً للمتشابه بالمحكم كما يقول القرآن وإنما عبور من الظاهر إلى الباطن أو من الترجمة إلى الفهم.

---

٢١٢ - ص٢٩٩ ج١ إحياء علوم الدين

٣ – كل القرآن متشابه وكله يؤول لا بعضه متشابه والآخر محكم كما قال عز وجل.

٤ – كل القرآن محكم بالباطن لا بالعبرة.

٥ – ليست المبادئ الإسلامية هي الأصل في إحكام المتشابه ولا الإدراك المستمر وإنما وحدة الوجود هي المحكم الذي يرد إليه كل القرآن أو كل الظاهر أو كل المتشابه.

## ـ أولياء التصوف هم الراسخون:

يقول الله تعالى: "وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا". والمتأمل في المذاهب التي قالت بعلم الراسخين للتأويل سيلحظ اختلافهم في تحديد الراسخ، فالراسخون عند المعتزلة غيرهم عند المتصوفة غير الراسخين عند الشيعة ولكنهم عند الجميع في نهاية المطاف هم الراسخون في المذهب أو في مذاهبهم.

المتصوفة ورغم استهجانهم لمصطلح العلم الذي قالت به الآية الآنفة الذكر ورغم جعلهم للإيمان في المرتبة الدنيا مقارنة بالمعرفة والعيان، نراهم وقد قالوا بأن الآية تعنيهم دون غيرهم من الناس، فالأولياء هم الراسخون في العلم ولهم دون غيرهم التأويل عن طريق الإعلام الإلهي، فالمتصوفة "اعتبروا أنفسهم خاصة أهل الله الذين منحهم أسرار العلم الباطن المودع في القرآن والحديث"[٢١٣]، "والراسخون في العلم كما يقول ابن عربي إن علموه فبإعلام الله لا بفكرهم واجتهادهم فإن الأمر أعظم من أن تستقل العقول بإدراكه من غير إخبار إلهي"[٢١٤]، "والإنسان الكامل – لا الإنسان الحيوان – وحده هو الذي يفهم اللغة الإلهية، ويفهم دلالة كلمات الله الوجودية واللفظية على السواء"[٢١٥]،

---

[٢١٣] ـ ص٤١٢ الصلة بين التصوف والتشيع
[٢١٤] ـ ص١٩٥ ج١ بـ٢٨ الفتوحات المكية
[٢١٥] ـ ص٣٧٦ فلسفة التأويل

فالمتشابهات إذن "تدرك بالتعريف لا بالتأويل"[216]، "وما يعلم تأويله إلا الله- والحق يتولى تعليمه "للصوفي" لقوله "واتقوا الله ويعلمكم الله""[217].

التأويل إذن من علوم الذوق أو الكشف، إنه العلم القائم على تذوق الآيات القرآنية والأحاديث تذوقاً روحياً قوامه الكشف وعماده التحقيق"[218]، والراسخون في العلم كما يقول أبو بكر الواسطي "هم الذين رسخوا بأرواحهم في غيب الغيب، وفي سر السر. فخاضوا بحر العلم بالفهم لطلب الزيادات، فانكشف لهم من مدخور الخزائن والمخزون تحت كل حرف وآية من الفهم وعجائب النص، فاستخرجوا الدرر والجواهر ونطقوا بالحكمة"[219]، والدباغ يقول عن معرفة معاني فواتح السور: "ولا يعلم ما في فواتح السور إلا أحد رجلين: رجل ينظر في اللوح المحفوظ ورجل يخالط ديوان الأولياء أهل التصرف. وغير هذين الرجلين لا طمعية له في معرفة فواتح السور أبداً"[220]. فالأولياء والعارفون للسريانية برأيه لهم معرفة معاني فواتح السور القرآنية، ولن يكون لغيرهم هذا الفهم، إنه علم الأوتاد ومن لم يأخذ بمعارفهم فإنه من أصحاب الزيغ

---

٢١٦ - ص٣٧٧ نفسه
٢١٧ - ص٦٣ ج١ الأنوار القدسية
٢١٨ - ص٢٢٢ الفكر الصوفي عند عبد الكريم الجيلي
٢١٩ - ص٢٤٨ بـ٦٢ عوارف المعارف
٢٢٠ - ص٣٥٦ ج١ الإبريز

"ومن يتبع الطرق الموصلة إلى الكشف – كما يقول ابن عربي – فما هو من أهل الزيغ بل هو من أهل الاستقامة"[٢٢١].

وبما أن إدراك المتشابه بالباطن غير كائن في التصوف إلا للواصلين فإن الصوفي في بداية أمره يسلِّم بوجود المتشابه لأنه لا متشابه عند الوصول، فالمتشابه في أول أمره أو للمريدين "في بدايتهم وقد يطلعهم الله تعالى على أسرار من مكنون علمه- فيطلعون عندها على أسرار تنكشف بها غوامض المتشابه ولذلك قال ابن السبكي- الراسخون في العلم "أو الأولياء" يقولون أولاً آمنا به كل من عند ربنا، ثم يطلعهم الله على أسرار غيبه ومكنون علمه"[٢٢٢]. وهكذا يكون العبور من الإيمان إلى العيان، من الخبر إلى الكشف، من المريد إلى الواصل!

القرآن كله ظاهر يحتاج إلى التأويل وبذلك أصبح الباطن قيِّماً ومهيمناً عليه شأنه شأن كل الوجود الظاهر، "والأكوان – عند ابن عجيبة – ظاهرها ظلمة وباطنها نور، فمن وقف مع الظلمة كان محجوباً ومن نفذ إلى شهود النور كان عارفاً محبوباً"[٢٢٣]، والغزالي هو الآخر جعل من الكشف معياراً توزن به النصوص القرآنية، فبعد أن عرض المذاهب على قانونه في التأويل رآهم جميعاً على خطأ إلا المتصوفة أهل الكشف، إلا

[٢٢١] - ص٥١٧ ج٣ بـ٣٨٢ الفتوحات المكية
[٢٢٢] - ص١٣٩ ج١ الفتح الإلهي
[٢٢٣] - ص١٣٠ – ١٣١ ج١ إيقاظ الهمم

"الموفقون الذين يدركون الأمور بنور إلهي لا بالسماع "عن الخبر النبوي"، فإذا انكشف لهم أسرار الأمور على ما هي عليه نظروا إلى السمع والألفاظ الواردة "في القرآن" فما وافق ما شاهدوه بنور اليقين قرروه وما خالف أوّلوه"[٢٢٤]. فبالكشف حسب رأيه يكون التمييز بين المحكم والمتشابه، وكل ما لا يوافق الكشف فهو متشابه يحتاج إلى التأويل، فالحقيقة بالباطن والباطن هو النور "وعلم الحقيقة – كما يقول النابلسي – هو الذي أمر الله تعالى نبيه عليه السلام أن يطلب الزيادة منه بقوله "وقل رب زني علماً""[٢٢٥]، وابن عربي الذي أدرك بكشفياته "أرض الحقيقة" يقول: "وكل حديث وآية وردت عندنا مما صرفها العقل عن ظاهرها وجدناها على ظاهرها في هذه الأرض"[٢٢٦]. وبهذا الإدراك لا بغيره يكون إحكام المتشابه حيث لا متشابه على الحقيقة!

لا متشابه أمام الصوفي الواصل، فكل الزمن قد اجتمع بإدراكه الذي أصبح إلهياً، فلا ماض ولا مستقبل والكل حاضر، ولكن الصواب رغم ربطه للمتشابه بالإدراك أن إدراكه المزعوم لا معنى له أمام فكرة البرهان بما يجب له أمام الرسوخ العلمي والتطابق بين الخبر والموضوع المشار إليه من الجميع، لأنه خبر عن ذوق ذاتي لا يتعدى صاحبه،

---

٢٢٤ - ص١٠٤ ج١ إحياء علوم الدين
٢٢٥ - ص١٠٥ شروح رسالة الشيخ أرسلان
٢٢٦ - ص١٣٠ ج١ بـ٨ الفتوحات المكية

وكاذب مثلاً من زعم علم الساعة ولا صدق إلا لمن كان له إدراك تطابق الخبر مع الحدث لا فرق في هذا بين الأحياء والأموات وهذا لن يكون للصوفي قطعاً طالما لا قيامة بعد إلا بالأكاذيب.

من الجائز للإنسان الاجتهاد للتأويل هذا صحيح ولكن بشرط الالتزام بعدم معارضة المحكم وبالرسوخ الذي يسمح لغيره إدراك تطابق الخبر مع الموضوع وإلا فما المعنى من تأويل خبر بخبر آخر غير خاضع ليقين إدراك الآخرين، ومن أجل هذا وللحيطة قال المتصوفة بضرورة انطباق الظاهر مع الباطن، والغزالي يقول: "إن من يجمع بين الظاهر والباطن جميعاً فهذا هو الكامل"[٢٢٧]. ولكنهم قالوا بالمقابل أن هناك أسراراً لا يمكن إباحتها وبذلك يكون زوال الحكم المعياري الذي له إشراك الآخرين في الحكم عليها أو على الأسرار بالصدق أو الكذب، والغزالي نفسه مثلاً قد استشهد بابن عباس راوياً أنه قال "في قوله عز وجل "**الله الذي خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن يتنزل الأمر بينهن**" لو ذكرت تفسيره لرجمتموني. وفي لفظ آخر لقلتم أنه كافر! وقال أبو هريرة رضي الله عنه: حفظت من رسول الله صلى الله عليه وسلم وعاءين أما أحدهما فبثثته وأما الآخر لو بثثته لقطع هذا الحلقوم"[٢٢٨]. وهذا يعني أن الباطن ذا معنى مغاير للظاهر المفهوم عند الناس، والتوفيق

[٢٢٧] - ص١٠٢ مشكاة الأنوار
[٢٢٨] - ص١٠ ج١ إحياء علوم الدين

بين الظاهر والباطن عندها كائن بكتمان الأسرار عمن ليس من أهلها، وإلا فهي البدعة والغزالي يقول أيضاً عن التأويل: "فننظر فيه إلى البرهان فإن كان قاطعاً وجب القول به، ولكن إن كان في إظهاره مع العوام ضرر لقصور فهمهم فإظهاره بدعة"[٢٢٩]. وعن أي توفيق هذا الذي يتكلم عنه إذن، وعن أية أسرار هذه التي لا تروق للعوام وهي تحوي إبطالاً للربوبية والنبوة والأحكام الشرعية، فهذا ليس خلافاً مع العوام وإنما خلافاً مع المبادئ القرآنية ومع النبوة ومع الإسلام كله، وها هو الغزالي يقول: قال "بعض العارفين – من أهل التصوف – إفشاء سر الربوبية كفر. وقال بعضهم: للربوبية سر لو أظهر لبطلت النبوة، وللنبوة سر لو كشف لبطل العلم، وللعلماء سر لو أظهروه لبطلت الأحكام"[٢٣٠]. فسر الربوبية الذي يدركه العارف له إذن أن يبطل النبوة، وبإدراكه سر النبوة له إبطال العلم الخبري عن النبي، وللعلماء سر لو أظهروه لبطلت الأحكام الشرعية، وعن هذه الأسرار وطبيعتها كان كتابنا "المعرفة الصوفية بين التقية والأسرار".

التأويل برأي الغزالي قد يعارض الظاهر ولا ضير في ذلك إن كانت الأسرار مكتومة وما الخروج عن الدين برأي القوم إلا على زعم صاحب التأويل أنه الوحيد في الوصول إلى الصواب، فأوِّل ما شئت وأنت

---

[٢٢٩] - ص١٤٦ ج١ فيصل التفرقة بين الكفر والزندقة

[٢٣٠] - ص١٠٠ ج١ نفسه

حر ولكن احذر من الزعم أنك الوحيد في التأويل الصحيح والسكندري يقول: "لقد جاء أنه عليه الصلاة والسلام قال: لكل آية ظاهر وباطن وحد ومطلع فلا يصدنك عن تلقي هذه المعاني أن يقول لك ذو جدل ومعارضة: هذا إحالة لكلام الله عز وجل ولكلام رسوله صلى الله عليه وسلم. فليس ذلك بإحالة وإنما كان يكون إحالة لو قالوا لا معنى للآية إلا هذا "التأويل" وهم لم يقولوا ذلك بل يقرون الظواهر على ظواهرها مرادة بها موضوعاتها ويفهمون عن الله ما أفهمهم، وربما فهموا من اللفظ ضد ما قصده واضعه"[٢٣١] "وقد علم كل أناس مشربهم" فمهما زعم الصوفي من تأويل فلا بد واقع في هذه المراتب ولا خروج لتأويله بزعمهم عن الدين حتى لو فهم من الله ما لم يقصده في قرآنه الظاهر. والشعراني هو الآخر يرى أن من عصى بالتأويل فليس بعاص ولا عصيان عندها لتارك التكاليف إن أوَّلها "فمن عصى بالتأويل – يقول الشعراني – فليس بعاص في حال وقوع الفعل منه لشبهة التأويل. وأما بعد وقوع الفعل. فهو كالمجتهد في زمان فتواه"[٢٣٢]. والمجتهد كما هو معلوم مأجور لا إثم عليه أصاب أم أخطأ، لكن هل للأمور العملية المحدودة بالأوامر والنواهي من تأويل؟! الحقيقة أن الشعراني بقوله هذا قد سعى لتبرير فعلة الذين أولوا

---

[٢٣١] - ص١٦٥ لطائف المنن

[٢٣٢] - ص٧٠ ج١ الأنوار القدسية

التكاليف والأوامر الشرعية حتى أصبحت لديهم رموزاً لا علاقة لها بالجوارح والعمل، كتأويلهم لها بالذكر وعبادة القلوب وغير ذلك.

## ـ تأويلات صوفية:

لكل شيء ظاهر وباطن، وما من كلام إلا ويؤوَّل، والأولياء هم الراسخون في العلم ولهم التأويل دون غيرهم من الناس، وتأويلهم حسب زعمهم ليس فيه إحالة للظاهر فهم مع الله ومنه يأخذون الحقائق حتى ولو كان في ذلك كل الإحالة، ولا يعلم حقيقة ذلك إلا من كان مدركاً للأسرار التي بها تقطع الحلاقم والأعناق. ولا بد لنا من نبذة مبسطة من تأويلات القوم لنرى صدق ما يزعمون أو كذبه.

التأويل غير الملتزم إسلامياً لا نراه محكوماً إلا بمعيارية الأغراض، ومن أغراض المؤول تكون مبادئ التأويل وإذا ما كان التصوف من باب الملاحظة منهج فإن عناصر المنهج عندها وبالفعل ستصبح هي المحكم الذي يقود القرآن والسنة لينطقا به وبأصوله وأحواله، والمتصوفة كما هو ملحوظ اتخذوا التأويل لكل "ما يفيد تثبيت عقيدتهم، فوجدنا التستري مثلاً يفسر "أم القرى" في الآية "لتنذر أم القرى ومن حولها" بقوله: ظاهرها مكة وباطنها القلب ومن حوله الحواس. وكذلك أوَّل ابن عربي الآية "فاقتلوا أنفسكم" بقوله: فاقتلوا أنفسكم بسيف الرياضة. وقمع هواها التي هي روحها"[٢٣٣]، وابن مسرة "تأول كثيراً من الآيات القرآنية تأويلاً باطنياً حتى أنكر بعث الأجساد ونفى علم الله

---

[٢٣٣] ـ ص٤٢٤ ـ ٤٢٥ الصلة بين التصوف والتشيع

بالجزئيات إلا بعد وقوعها."[٢٣٤]، والشيخ أبو العباس المرسي "يقول في قوله عز وجل "وما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها" أي ما من ولي لله إلا ونأتي بخير منه أو مثله"[٢٣٥]، وكذلك يفسر "يهب لمن يشاء إناثاً – على أنها الحسنات – ويهب لمن يشاء الذكور – بالعلم – ويجعل من يشاء عقيماً – أي لا علم ولا حسنة"[٢٣٦]، والشيخ أبو الحسن الشاذلي قال في قوله سبحانه وتعالى: "إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة". قال: بقرة كل إنسان نفسه، والله أمرك بذبحها"[٢٣٧]، وصاحب الفتح الإلهي يقول في "قوله تعالى: إذا زلزلت الأرض. أي أرض النفوس وأخرجت الأرض أثقالها أي ما فيها من العلوم والحكم والأسرار، وقال الإنسان متعجباً من حال تلك النفوس: ما لها يومئذ تحدِّث أخبارها تظهر أسرارها ومواهبها وهذه كلها إشارات وألغاز"[٢٣٨]. فهي برأيه رموز لا دلالة لها إلى واقع سيوجد فيما بعد، إنها ألغاز وإشارات ليس إلا! وعندما أراد الغزالي تبرير مزاعم المتصوفة في علمهم للغيب، قال: "فإن قلت هذا نوع مشاركة عزَّت على الأنبياء فكيف ينالها الأولياء؟ فاعلم أن أصل الغيب هو من الله القديم فمنته عليهم اطلاعهم على شيء من علوم الغيب، أما سمعته يقول: عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً إلا من ارتضى من

---

[٢٣٤] - ص١٢٨ التصوف بين الدين والفلسفة
[٢٣٥] - ص٢١ لطائف المنن
[٢٣٦] - ص١٦١ – ١٦٢ نفسه
[٢٣٧] - ص١٥٣ نفسه
[٢٣٨] - ص١١٤ ج١ الفتح الإلهي

رسول. وقوله من رسول ستر على الحال لئلا يحسب أجلاف العامة أنها مشاركة غيبية وهذا غير بعيد إذ خزائن الملوك يطلع عليها المملوك"[٢٣٩]. فذكر الله للرسل تحديداً لمعرفة الغيب برأيه لا معنى له إلا لتضليل العوام والجهلة حتى لا يظنوا أن الأولياء شركاء لله في معرفة الغيب، فالأولياء برأيه يعلمون الغيب شأنهم شأن الرسل شأن المملوك في اطلاعه على خزائن الملك، ولربط الدين بالعرفان اللدني يؤول قوله تعالى: "أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها" بقوله: "إن الماء هو المعرفة وأن الأودية هي القلوب"[٢٤٠]، وما هي الأصنام التي حرم الله على الإنسان عبادتها حسب تأويلات الغزالي؟ يقول: "لقد استعاذ الخليل ابراهيم وقال: اجنبني وبني أن نعبد الأصنام. وعنى به هذين الحجرين الذهب والفضة"[٢٤١]، وفي معرض حديثه عن الوجود والخلق وملاءمة للمعروف من الفلسفة أول قوله تعالى: "خلق الأرض في يومين". أي: المادة والصورة"[٢٤٢]، أما ابن عربي فيقول عن قوله تعالى "سبح اسم ربك الأعلى": وما في القرآن أقرب نسبة إلى مسح أعلى الخف من هذه الآية"[٢٤٣]، وعن قوله تعالى في قوم عاد: "بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب أليم" يقول مؤولاً: "فجعل الريح إشارة إلى ما فيها من الراحة.

---

[٢٣٩] - ص١٠٣ سر العالمين
[٢٤٠] - ص١٠٠ مشكاة الأنوار
[٢٤١] - ص١٠٦ ميزان العمل
[٢٤٢] - ص٤٣ المظنون به على غير أهله
[٢٤٣] - ص٣٤٦ ج١ بـ٦٨ الفتوحات المكية

وفي هذه الريح عذاب أي يستعذبونه"[٢٤٤]، وعن عصا موسى عليه السلام يقول: "فألقى عصاه" وهي صورة ما عصى به فرعون موسى في إبائه عن إجابة دعوته فإذا هي ثعبان مبين" أي حية ظاهرة. فانقلبت المعصية التي هي السيئة طاعة أي حسنة كما قال: "يبدل سيئاتهم حسنات"[٢٤٥]، وتأويلاً لحديث الرسول قال: "قال صلى الله عليه وسلم: أمك ثلاث مرات ثم قال له في الرابعة ثم أباك فرجح بر الأم على بر الأب، والطبيعة الأم – هي طبيعة الإنسان وأبوه هي الروح الإلهي وهو النور"[٢٤٦]، وكذلك يفسِّر الوالدين في قول نوح: "رب اغفر لي ولوالدي" بالعقل والطبيعة، والمؤمنين والمؤمنات بالعقول والنفوس. وهذا تفسير غنوصي يقوم على مسخ النصوص الدينية وعكس معانيها"[٢٤٧]، ولن يتوان ابن عربي عن تحريف قوله تعالى "رفيع الدرجات" إلى الاستدلال به على تجويز مختلف العبادات- ثم يجعل من هذه الدرجات عبادة الهوى ويجعله أعظم مجلى عُبد فيه الله مع أن هذه أحط الدرجات عند المسلمين"[٢٤٨]. وللتأويلات الصوفية للحروف شأن غريب عجيب "فسهل التستري- رأى أن "الألف هو الله تعالى واللام جبرائيل والميم محمد- وعند تأويله إلى بسم الله الرحمن الرحيم يقول: الباء بهاء الله، السين سناء الله، الميم مجد

[٢٤٤] - ص١٠٩ ج١ فصوص الحكم
[٢٤٥] - ص٢١٠ ج١ فصوص الحكم
[٢٤٦] - ص٣٥٤ ج٢ بـ١٧٨ الفتوحات المكية
[٢٤٧] - ص٢٠٩ التصوف الإسلامي بين الدين والفلسفة
[٢٤٨] - ص٢١٠ نفسه

الله، والله هو الاسم الأعظم الذي حوى الأسماء كلها- وابن عربي يقول في "ألم"- "أ" إشارة إلى ذات الله- و"ل" إلى العقل الفعال المسمى جبريل- و"م" إلى محمد"[٢٤٩]، وقال أن الحروف أقسام كل قسم منها يمثل عالم الغيب أي ما غاب عن الحس منها "س" "ص" "ك"- وهذه حروف الرحمة والألطاف والرأفة والحنان- وفيهم نزلت هذه الآية وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً"[٢٥٠]، "والقسم الآخر يسمى عالم الشهادة والقهر وهو كل عالم من عالمي الحروف جرت العادة عندهم أن يدركوه بحواسهم وهو ما بقي من الحروف وفيهم قوله تعالى: فاصدع بما تؤمر. وقوله تعالى: واغلظ عليهم"[٢٥١]، وعندما أراد البرهان على وحدة الوجود، قال في قوله تعالى "ونحن أقرب إليه من حبل الوريد" وقوله "ونحن أقرب إليه منكم ولكن لا تبصرون" مفسراً القرب بأنه راجع إلى أن الحق هو ذات العبد وحقيقته وليس أقرب إلى الشيء من ذاته- و"القلم" الوارد ذكره في القرآن معناه عند ابن عربي العقل الأول و"اللوح المحفوظ" معناه النفس الكلية ومعنى "جهنم" البعد. ومعنى "الكلمة" العقل، و"آدم" هو الحقيقة الإنسانية و"محمد"- في حقيقته – هو الإنسان الكامل"[٢٥٢] عند الوثنيين، وبذلك كله

[٢٤٩] - ص٤٢٠ – ٤٢١ الصلة بين التصوف والتشيع
[٢٥٠] - ص٧٩ – ٨٠ الفتوحات المكية
[٢٥١] - ص٨٠ نفسه
[٢٥٢] - ص٧٣ التصوف الثورة الروحية في الإسلام

أصبح ابن عربي على الحقيقة "صورة أخرى من فيلون"[٢٥٣] اليهودي الذي جعل من التوراة رموزاً للمصطلحات الفلسفية التي اعتقدها، ولكن الله عز وجل يقول: "وأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله" صدق الله العظيم. ومن الجدير بالذكر أن الفاروق عمر الذي إن سلك فجاً سلك الشيطان فجاً غيره قد ضرب "صبيغ بن عسل" بالدرة حتى شجه ومنع الناس من مخالطته لأنه "كان يسأل عن متشابه القرآن"[٢٥٤]، والغزالي يقول بلسان أهل الظاهر: "والحديد الذي فيه بأس شديد للذين يتبعون ما تشابه من الكتاب ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله"[٢٥٥]. وكأنه وأمثاله لا علاقة لهم بالتأويل الذي كله فتنة، ولكن ما الذي يعنيه الغزالي وقد جعل الحديد عقاباً لحرية التأويل كحد للكفر؟ يقول كعادته: حد الكفر "مدركه غامض"[٢٥٦]. وليس الكفر تكذيباً للرسول فحسب وإنما له معنى أوسع من ذلك ومنه كما يقول كفر النعمة "فكل من عصى الله تعالى – كما يقول – في تطريفة واحدة بإن فتح جفنه مثلاً حيث يجب غض البصر فقد كفر كل نعمة لله تعالى عليه- كفر كل نعمة في الوجود من منتهى الثريا إلى منتهى الثرى فلم يبق فلك

---

٢٥٣ - ص١٨٧ ج١ نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام

٢٥٤ - ص٣٠ البدعة

٢٥٥ - ص٦٨ ج١ القسطاط المستقيم

٢٥٦ - ص١٢٨ ج١ فيصل التفرقة بين الكفر والزندقة

ولا ملك ولا حيوان ولا نبات ولا جماد إلا ويلعنه"[٢٥٧]. فكفر النعمة برأيه يؤدي إلى اللعنة التي معناها الطرد من الرحمة الإلهية بل ولا تطلق إلا على الذي مات على الكفر، وبذلك يكون وجوب النار على كل ذي تطريفة وهذا بالطبع غير معقول إلا إن أصبح للكفر معنى مختلفاً عن معناه الشرعي، وابن عربي أيضاً حدد معناه لصالح المعنى اللغوي حتى نعت الأولياء بالكفر تمييعاً لمعناه.

وبعد أن وسع الغزالي معنى الكفر استخفافاً بمعيارية التكفير التي نعتها بالغموض، انطلق لتوسيع أنفاق من كان له تكذيب الرسول صلى الله عليه وسلم فاستعار لهذه المهمة مراتب الإدراك التي قررها الفلاسفة ليقول: "الوجود ذاتي وحسي وخيالي، وعقلي، وشبهي. فمن اعترف بوجود ما أخبر الرسول عليه الصلاة والسلام عن وجوده بوجه من هذه الوجوه الخمسة فليس بمكذب على الإطلاق"[٢٥٨]، "واعلم أن كل من أنزل قولاً من أقوال صاحب الشرع على درجة من هذه الدرجات فهو من المصدقين، وإنما التكذيب أن ينفي جميع هذه المعاني، ويزعم أن ما قاله لا معنى له- ولا يلزم كفر المؤولين ما داموا يلازمون قانون التأويل"[٢٥٩]. أي: كل من أنزل قولاً للرسول على موضوع موجود له ذات في العالم

---

[٢٥٧] - ص١٢٢ ج٤ إحياء علوم الدين
[٢٥٨] - ص١٢٩ فيصل التفرقة
[٢٥٩] - ص١٣٥ نفسه

وكل من أنزل هذا القول على موجود داخلي في الإنسان كالتهيؤات والأحلام وسوى ذلك، أو على صورة المحسوسات أو على المعنى الذي لا صورة له، أو على مثال شبيه بالمقصود، أو بالمجاز فليس بمكذب للرسول صلى الله عليه وسلم، واقبض إن استطعت عندها على الكافرين لتستخدم ضدهم الحديد الذي فيه بأس شديد! وليس بكافر عندها من أنكر وجود الجنة والنار لإنزالهما ببرهانه في حظيرة المعاني المجردة، ولا بكافر من زعم أن التكاليف رموزاً أو أسماءً لرجال إن قدر له تجاوز الظاهر بما يملكه من براهين مزعومة.

للوجود خمسة مراتب وقانون التأويل الغزالي يعتمد على برهان الاستحالة إن صح التعبير كتبرير للانتقال من مرتبة إلى المرتبة الأخرى، ولا رخصة للعدول عن درجة إلى ما دونها إلا بضرورة البرهان"[٢٦٠]، "وأصول الإيمان ثلاثة: الإيمان بالله وبرسوله وباليوم الآخر وما عداه فروع"[٢٦١]، ولا تأويل لهذه الأصول إلا بالكفر، ولا تكفير في تأويل الفروع إلا أن يكون تكذيباً للرسول صلى الله عليه وسلم، فالتأويل إن كان تأويلاً لأصول "العقائد المهمة فيجب تكفير من يغير الظاهر بغير برهان قاطع- وذكر ذلك عظيم الضرر في الدين"[٢٦٢].

[٢٦٠] - ص١٣٨ نفسه
[٢٦١] - ص١٤٤ نفسه
[٢٦٢] - ص١٤٢ نفسه

وعلى الرغم من اتساق فكرة الغزالي هذه من الناحية النظرية لتكون قانوناً للتأويل كما يراه إلا أنها لم تكن في حياكتها إلا لتوافق الأحوال الصوفية، ولكن الإيمان بالله أو بوجوده مثلاً لا يكفي لارتباط هذا المؤمن بالإسلام إن كان مؤمناً بعدم المباينة بين الخالق والمخلوق، وزعم الوصول إلى مقام النبوة أو إلى مقام فوقها لا ينجيه من الكفر إيمانه بأن محمد صلى الله عليه وسلم مرسل من الله عز وجل، ولا ينجيه هذا الإيمان إن آمن بأن النبوة كسباً لا اصطفاءً. وليس مسلماً من آمن باليوم الآخر وقد زعم المآل السعيد لإبليس أو ساوى بين الجنة والكشف أو ساوى بين الطاعة والمعصية.

وما البرهان القاطع الذي نادى الغزالي بوجوبه للانتقال عبر مراحل التأويل وهو الذي استخدم خازن الملك برهاناً قاطعاً على مساواته بالرسل؟

من المعلوم أن البراهين ترتد بأصولها إلى ثلاثة مناهج: المنهج التجريبي ويعتمد الاستقراء، والمنهج العقلي أو الرياضي أو المنطقي ويعتمد القياس أو الاستدلال، المنهج الصوفي ويعتمد الاذواق والكشف، ومن المعلوم قطعاً أن القضايا الإيمانية ليست من موضوعات المنهج التجريبي حتى يكون له رأي في قضايا ما وراء العالم، وكذلك لا إلزام لأقيسة المنهج الاستدلالي طالما لا يستطيع الانطلاق إلا وفق المبادئ

الكائنة عما هو مدرك ناهيك عن أنها غير صادقة إلا في الاقتطاع الذي كانت عنه، أما المنهج الصوفي فإنه الأبعد على الإطلاق عن كل ما تعنيه كلمة البرهان لأنه من المحال مثلاً لإثنين من البشر أن يشتركا في رؤية حلم واحد. ومن إدراك الغزالي لتهافت معنى البرهان مع المنهج الصوفي نراه وقد قذف ما قال به بعيداً ليناشد أصحاب الأذواق قائلاً: "ولا ينبغي للمتأولين أن يكفر بعضهم بعضاً. وليكن للبرهان بينهم قانون متفق عليه يعترف كلهم به"[٢٦٣]. وهكذا يكون يأسه من القانون الذي زعمه للتأويل، وهيهات له بالفعل من جهة أخرى جمع استدلال الفقهاء وأقيستهم مع المتصوفة وأذواقهم على قانون واحد يمكن الاتفاق عليه.

الفلاسفة واعتماداً على المنطق حقَّ لهم إنكار الحشر والنشر وإلى ما هنالك لأن المبادئ المنطقية التي لديهم تقودهم مرغمين إلى هذه النتيجة أو إلى تحصيل هذا الحاصل، والصوفي الذي نادى باكتساب النبوة هو الآخر بنى رأيه قياساً على أحواله، وكلاهما في نهاية المطاف على خطأ، فالفيلسوف عمم المبادئ المحدودة بالاقتطاع إلى كل الوجود، والصوفي عمم أحواله على النبوة والألوهية حتى أصبح وصياً على الدين في كل قضاياه، وبقي الدين شيئاً آخر لا يناله الصوفي ولا الفيلسوف، لأنه ذو

[٢٦٣] - ص١٣٩ نفسه

مبادئ محدودة به ومن هذه المبادئ الخبرية تكون الأقيسة والاستدلالات وإحكام التأويل.

وإنها لحيرة بالفعل، فعلى حين نرى الغزالي يكفِّر في الأمور التي ليست من الكبائر ممتشقاً السيف لقتال المتأولين نراه وقد انطلق يحفر الأنفاق والدهاليز لإحكام اختفائهم عن الأنظار أو الحساب، وبينما نراه مندفعاً بكل قوته لإيجاد قانون التأويل نراه وقد ركله بقدمه بكل ما لديه من العنف والغضب! وها هو شيخ منهج الإشراق "ابن طفيل" أيضاً قد لاحظ هذا الاضطراب على الغزالي حتى اتهمه بالقلق والجهل قائلاً: إن الغزالي "يربط في موضع ويحل في آخر، ويكفِّر بأشياء ثم ينتحلها، ثم إنه من جملة ما كفَّر به الفلاسفة في "كتاب التهافت" إنكارهم لحشر الأجساد وإثباتهم الثواب والعقاب للنفوس خاصة. ثم قال في أول كتاب "الميزان" إن هذا الاعتقاد هو اعتقاد شيوخ الصوفية على القطع، ثم قال في كتاب "المنقذ من الضلال والمفصح بالأحوال": إن اعتقاده هو كاعتقاد الصوفية وأن أمره إنما وقف عليه بعد طول البحث"[٢٦٤]. فالمسكين لا كان له إخلاص رجل الفقه إلى دينه، ولا إخلاص الواصلين إلى معارفهم الكشفية حتى بقي مُنْكراً عند كبار الأولياء وعامة الفقهاء والمحدثين على السواء.

---

٢٦٤ - ص١١٣ حي بن يقظان

**ـ خاتمة:**

مما مرَّ معنا نرى أن القرآن في الفكر الصوفي ليس بذلك الشيء العظيم، فإن كان مقدساً لأنه كلام الله عز وجل فكلام الله لا ينقطع عن أوليائه، بل وكل الكلام بتوحيد الأفعال هو كلامه وكل الأشياء بتوحيد الوجود هي كلماته ومن الخطأ نعته بالقرآن دون سواه من الكتب اللدنية التي تأتي لأهل الله الذين لهم الوصول لجوامع الكلم التي كانت لمحمد صلى الله عليه وسلم.

القرآن عند الصوفي ليس بذلك المقدس، ولهذا رأيناه وقد استخف به كثيراً إلى درجة التهوين من شأنه، فالقرآن برأيه محيِّر وذو تناقضات لا نهاية لها، ومن أراد الوصول إلى الله عز وجل فليسلك الرياضات وليزهد فيما سوى الله بما في ذلك القرآن والنبوة، وها هو الغناء والشعر برأيه أفضل منه للذكر والوصول إلى الوجد، بل وللصوفي مقامات إن وصلها فلا قدرة له على قراءة شيء من القرآن لا في الصلاة ولا في غيرها، ومن استخفافه أيضاً بالقرآن صرَّح بانعدام خشوعه إن قرأه، وبالاستخفاف أفتى بجواز مس الجنب للمصحف، وبه قال بأفضلية السريانية على العربية.

وأخيراً لا بد للصوفي من التشكيك بالقرآن، فقرآن الدفتين لم يجمعه محمد صلى الله عليه وسلم ولا هو الذي تعهد الله بحفظه، وها هو قد سقط

منه الكثير، والرسول ترجمه عن الفهم بما يلائم عقول الخلق، ومن أجل الخلق شوَّهه حين أخفى الحقائق أو مراد الله الذي لا تحتمله عقولهم، والصوفي الواصل إلى قرآن الفهم أو إلى قرآن اللوح المحفوظ أو إلى سماع القرآن عن الله، هو القيِّم على قرآن الدفتين والذي يقوله هو الأصح حتى ولو كان في ذلك كل النسخ، ومن أراد الوصول أو الانتقال من الترجمة إلى الفهم أو إلى القرآن الأم فليس له إلا التأويل الشامل سواء كان بالوجود أو للمعاني لكل الآيات دونما استثناء، وبذلك يكون الوصول إلى العقائد المختلفة عما في القرآن من عقائد.

**- المراجع:**


١. **القرآن الكريم.**

٢. **الإبريز:** أحمد المبارك، تحقيق محمد الشماع ج١ ط١ ١٩٨٤، ج٢ ط١ ١٩٨٦.

٣. **ابن سبعين وفلسفته الصوفية:** د. أبو الوفا التفتازاني، دار الكتاب اللبناني، ط١ ١٩٧٣.

٤. **ابن عربي حياته ومذهبه:** أثين بلاثيوس، ترجمة: عبد الرحمن بدوي ١٩٧٩.

٥. **الاتجاه العقلي في التفسير:** د. نصر أبو زيد ط١ ١٩٨٢.

٦. **إحياء علوم الدين:** أبو حامد الغزالي.

٧. **أشرف الوسائل:** محمد أبو الهدى الصيادي، تحقيق عبد الحكيم الباسط، ط١ ١٣٨٩ هـ.

٨. **أضواء على مسلك التوحيد:** د. نسيب مكارم ١٩٦١.

٩. **الإكليل:** أحمد الحراني، مجموعة الرسائل الكبرى.

١٠. **الإنسان الكامل في معرفة الأواخر والأوائل:** عبد الكريم الجيلاني، مطبعة حجازي ١٣٦٨ هـ، القاهرة.

١١. **الأنوار القدسية:** عبد الوهاب الشعراني هامش الطبقات الكبرى، المكتبة الشعبية.

١٢. **إيقاظ الهمم:** أحمد ابن عجيبة، ١٩٨٦ ط١.

١٣. **أيها الولد:** أبو حامد الغزالي ج١، القصور العوالي، مكتبة الجندي.

١٤. **البدعة:** د. عزة عيطة ط٢ ١٩٨٠، دار الكتاب.

١٥. **التصوف الإسلامي بين الدين والفلسفة:** د. ابراهيم هلال ١٩٧٥.

١٦. **التصوف الثورة الروحية في الإسلام:** د. أبو العلا عفيفي، دار الشعب، بيروت.

١٧. **التصوف بين الحق والخلق:** محمد فهر شفقة ط٢ ١٩٧٠.

١٨. **التعرف لمذهب أهل التصوف:** أبو بكر محمد الكلاباذي، المكتبة العلمية ١٩٨٠.

١٩. **تلبيس إبليس:** عبد الرحمن ابن الجوزية، ١٣٦٨ هـ، ط٢.

٢٠. **حي بن يقظان:** محمد بن طفيل، تحقيق فارس سعد ١٩٨٠ ط٣ دار الآفاق.

٢١. **دراسات في التصوف الإسلامي:** د. محمد جلال شرف، دار النهضة العربية ١٩٨٤.

٢٢. **رسالة الفرقان:** أحمد الحراني "مجموعة الرسائل الكبرى".

٢٣. **الرسالة القشيرية:** عبد الكريم القشيري ١٩٥٧.

٢٤. **رسالة حكم شطح الولي:** عبد الغني النابلسي.

٢٥. **الروحية عند محيي الدين ابن عربي:** د. علي راضي.

٢٦. **سر العالمين:** أبو حامد الغزالي، دار الشباب.

٢٧. **شروح رسالة الشيخ أرسلان:** عبد الغني النابلسي، مطبعة العلم، دمشق، تحقيق: عزة حصرية ١٩٦٩.

٢٨. **شطحات الصوفية:** د. عبد الرحمن بدوي ١٩٧٦ ط٢.

٢٩. **الصلة بين التصوف والتشيع:** د. كامل مصطفى الشيبي، ط٢.

٣٠. **الصوفية في شعر ابن الفارض:** تحقيق حامد عبود ط١ ١٩٨٨.

٣١. **الصوفية في نظر الإسلام:** سميح الزين ط٣ ١٩٨٥.

٣٢. **الطبقات الكبرى:** عبد الوهاب الشعراني، دار الفكر.

٣٣. **عوارف المعارف:** السهروردي، هامش: إحياء علوم الدين.

٣٤. **الفتح الرباني:** عبد القادر الجيلاني، تحقيق محمد البواب، دار الألباب.

٣٥. **الفتوحات المكية:** محيي الدين ابن عربي، مكتبة الثقافة

٣٦. **فصوص الحكم:** محيي الدين ابن عربي، تحقيق أبو العلا عفيفي، در الكتاب العربي.

٣٧. **الفكر الصوفي عند عبد الكريم الجيلي:** يوسف زيدان ١٩٨٨.

٣٨. **فلسفة التأويل:** د. نصر حامد أبو زيد، ط١ ١٩٨٣.

٣٩. **فلسفة التصوف قدرات وطاقات:** د. هاني نصري ١٩٩٠.

٤٠. **فيصل التفرقة بين الكفر والزندقة:** أبو حامد الغزالي، ج١ القصور العوالي، مكتبة الجندي.

٤١. **الفيلسوف الغزالي:** د. عبد الأمير الأعسم، ط٢ ١٩٨١.

٤٢. **القسطاس المستقيم:** أبو حامد الغزالي، القصور العوالي ج١ مكتبة الجندي.

٤٣. **قلادة الجواهر:** محمد أبو الهدى الصيادي.

٤٤. **لطائف المنن:** تاج الدين بن عطاء الله السكندري، مكتبة القاهرة ١٩٧٩.

٤٥. **المتشابه من القرآن:** محمد الحلي ط١ ١٩٦٥.

٤٦. **مدراج السالكين:** ابن قيم الجوزية، تحقيق محمد الفقي ط٢ ١٩٧٢.

٤٧. **مشكاة الأنوار:** أبو حامد الغزالي، ضبط رياض العبد الله، ١٩٨٦.

٤٨. **المظنون به على غير أهله:** أبو حامد الغزالي، هامش الإنسان الكامل للجيلاني، تحقيق رياض العبد الله.

٤٩. **من التراث الصوفي:** د. محمد جعفر ط١ ١٩٧٤.

٥٠. **من الفكر الصوفي الإيراني:** محمد عنقا، ترجمة د. محمد السباعي، د. ابراهيم الدسوقي، مطبعة دار النشر.

٥١. **من الفلسفة اليونانية إلى الفلسفة الإسلامية:** محمد عبد الرحمن مرحبا، ط١ ١٩٧٠.

٥٢. **مواقع النجوم:** محيي الدين ابن عربي، مطبعة محمد صبيح ١٩٦٥.

٥٣. **ميزان العمل:** أبو حامد الغزالي، مطبعة حجازي ١٩٦٣.

٥٤. **نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام:** د. علي سامي النشار ١٩٧٥ ط٦، دار المعارف.

٥٥. **النور من كلمات أبي طيفور:** أبو يزيد البسطامي "شطحات الصوفية".

٥٦. **اليواقيت والجواهر:** عبد الوهاب الشعراني ط١ ١٩٥٩، مطبعة مصطفى الحلبي.

## - الفهرس: